سِرُّ مجتمعنا الأُخوي

بقلم

ايبرهارد آرنولد

Eberhard Arnold

وخطابان تفسيريّان

بقلم

توماس مرتون

Thomas Merton

ايبرهارد آرنولد

Eberhard Arnold

سِرُّ مجتمعنا الأُخوي

مع خطابين تفسيريين بقلم

توماس مرتون

Thomas Merton

مقدمة بقلم

باسل بيننجتون

Basil Pennington

دار المحراث لنشر الكتب

THE PLOUGH PUBLISHING HOUSE

يرجى مشاركة هذا الكتاب "سِرُّ مجتمعنا الأخوي "Why we live in community" مع أصدقائكم. ولا ترددوا في إرساله في البريد الألكتروني أو طبع الكتاب كلياً أو جزئياً، ولكن الرجاء عدم إجراء أي تغيير بأية طريقة ما. وإذا رغبتم في عمل نسخاً متعددة منه لتوزيعه على نطاق واسع، أو لإعادة إستنساخ أجزاءاً منه كرسائل إخبارية أو دورية ، فيرجى مراعاة القيود التالية:

* لا يجوز إعادة نشره لمكاسب مادية.

* يجب إدراج عبارة الإئتمان التالية: "حقوق الطبع والنشر لدار المحراث لنشر الكتب - سنة 2011. تم إستخدامه بعد الإذن"

هذا الكتاب من منشورات دار المحراث لنشر الكتب، في عنوانيه التاليين:

Farmington، PA، 15437 USA

www.plough.com

Robertsbridge، East Susex، TN32 5DR، UK

www.ploughbooks.co.uk

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-0-87486-853-1

جميع الحقوق محفوظة

Copyright © 2007 by Plough Publishing House

Farmington، PA 15437 USA

المحتويات

المقدمة 6

ايبرهارد آرنولد: **سِرُّ مجتمعنا الأخوي**

لماذا مجتمع أخوي كليّ المشاركة؟ 14

الإيمان هو أساسنا 15

المجتمع الأخوي هو الجواب الشافي للمسألة السياسية والاجتماعية 18

المجتمع الأخوي هو الجواب للإيمان 19

المجتمع الأخوي خلال تأريخ الكنيسة 21

الحياة في المجتمع الأخوي تعني الحياة في الروح القدس 23

الرمزية في المجتمع الأخوي 29

المجتمع الأخوي علامة على ملكوت اللّه الآتي 34

المجتمع الأخوي هو دعوة إلى المحبة والوحدة 40

المجتمع الأخوي يعني التضحية 42

المجتمع الأخوي هو مغامرة الإيمان 43

توماس مرتون: **خطابان تفسيريّان**

بناء مجتمع على محبة اللّه 47

المجتمع الأخوي والسياسة والتأمل الروحي 65

هوامش على خطابي مرتون 76

خاتمة بقلم المحررين (ونبذة عن مجتمعنا الأخوي) 78

لا نريد منكم استنساخنا أو تقليدنا. فنحن نريد أن نكون كالمركب الذي يُبحر تاركاً ورائه آثاراً رغوية، سرعان ما تتلاشى. نريد منكم أن تتبعوا الروح القدس، الذي سعينا نحن في إتباعه، والذي يجب أن يطلبه الناس من جديد في كل جيل.

الجيل الأول من طائفة الصحابيين المسيحية

(Q u a k e r s)

عند بالبي، يورك، الولايات المتحدة الأمريكية،

أواخر القرن السابع عشر

المقدمة

بقلم باسل بيننجتون
Basil Pennington

هناك شيءٌ قويٌ حول شهادة "ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold" عن المجتمع الأخوي المشترك. فقد أتقن نقشها في حجر الصوّان الصلب للإيمان. وشهادته لا تتيح لنا أية فرصة لأن نغفل عن العذاب الذي يكابده عالم فشل فشلاً ذريعاً في العيش كمجتمع أخوي – ويشمل هذا حتى الجماعات المؤمنة. وتتواجه معنا جراحاتنا المتقرحة وتريد جواباً شافياً. ويقف "آرنولد" بكل عزم بجانب خيار الكنيسة في الوقوف بجانب الفقراء ومساندتهم، وهو الخيار الذي وهبه لنا إلهُنا مؤسّس مجتمع الكنيسة. فالمجتمع الأخوي يُعتبر عند "ايبرهارد آرنولد" أسلوبنا في قول كلمة "نعم" ملموسة للّه ولخليقته، وأيضاً "نعم" لطبيعتنا البشرية و"نعم" لما قد قُدِّر لنا، ذلك القدر الذي سيتم فقط - بفضل ووفق مخطط اللّه لنا - إذا عملنا من أجله وتضامنّا في سعينا.

ولما كنّا في عالم تزداد فيه الهُوّة بين الأغنياء والفقراء بصورة أكثر من قبل فنحتاج دائماً لأن نتواجه بكل قوة وإصرار مع مثاليات وقيم المجتمعات الأخوية للمسيحيين الأوائل ونتعلم منها. وبالتأكيد يُعتبر الأمر عمل مخزٍ حينما يذهب للنوم وهو شبعان مَنْ

يدّعي أنه تلميذ ليسوع، ودواليبه مليئة بالطعام، وجاره - أخوه الإنسان - جائع. وهو بالتأكيد عمل مخزٍ عندما لا يستعمل مَنْ يدّعي أنه تلميذاً ليسوع مواهبه الموهوبة من قبل اللّه إلا لتكثير ثراءه – في الوقت الذي يصرخ فيه غيره من الآباء من أجل ولو فرصة عمل واحدة لكسب قوت لأولادهم. وربما كان باستطاعة المجتمعات الكنسية أن تتحرك بأكثر فعالية لتنوير الضمائر النائمة إذا أجرت إصلاحات وتجديدات عملية وجذرية على الأسرار المقدسة ذات المكنون الجبار والتي ينبهنا بها "آرنولد".

وربما يصعب على مسيحيي هذه الأيام أن يسمعوا "آرنولد" ينبهنا باستمرار أننا إذا أردنا أن نعيش الحياة بكامل أبعادها وملئها، والتي تيسرت هذه الإمكانية فقط في المجتمع الأخوي المشترك، سيكلف تضحية كاملة للذات. وهذا هو سرّ حمل الله الذي قد قدّمه الله ذبيحة عنّا لكي يهبنا بموته الحياة. وهي تضحية فدائية يغمرها الفرح. ويقدم لنا "ايبرهارد آرنولد" مفارقة حقيقية ومهمة جداً للمجتمع الديناميكي الممتلئ حياة وحركة – أي التضحية بفرح - إلا أنها صعبة جداً لتحقيقها: فالمطلوب هو أن يعيش كل فرد فيه قراره الشخصي في تكريس ذاته للمجتمع بأسره بل ويمارس حرية إرادته/إرادتها في سبيل الخير. وبالطبع، فإن السرّ الكامن وراء

ذلك هو الروح القدس، وهو سرّ ليس بمقدور العالم الذي لا يعرف الله أن يُدركه – ولهذا السبب تفشل الكثير من الجهود الرامية لتأسيس مجتمعاً أخوياً يقوم على المشاركة، وتطرح خلفها ناساً مجروحين نفسياً أحسّوا بانخداع كامل. أما المجتمع الذي يُفعِمُه الروح القدس سيتمركز حول المسيح كضرورة لا بد منها؛ وسيعلم أن الصراع من أجل التحرّر لا يكون إلاّ عن طريق المسيح، ولذلك فهو يعيش على رجاء القيامة. فهو مجتمع محبة عالمية شاملة، وهو خميرة في الأسرة البشرية. ويدخل الروح القدس إلى داخل أي جماعة كانت، من جرّاء لهفة مشتركة من قِبل أفرادها، حينما تفتح الجماعة ذاتها وتجعل من نفسها جاهزة لقيادة وإرشاد الروح القدس.

وينادي "ايبرهارد" بروح الإصلاح عندما يُطلِق دعوة إلى "أولئك المدعوين"، ودعوته هي صدى لدعوة "أوغسطينُس Augustine"، و "بنديكت Benedict"، و "برنارد Bernard"، و "فرنسيس Francis"، و "إيجناتيوس Ignatius"، و "دون بوسكو Don Bosco". فكل من يعلم مدى الغِنى الذي أضافوه هؤلاء الموهوبين إلى حياة الكنيسة باستمرار وعدد المجتمعات الأخوية التي أسسوها (والذين مازالوا مصدر إلهام عبر القرون) يتأسف على أن ميراثهم لم يتم تثمينه من قِبل الكثيرين. وستستلهم الجماعات المسيحية في

وقتنا الحاضر وفي زمن التجديد الحيوي هذا إلهامات غنية من تحليل ايبرهارد الثاقب حول ماهية الدعوة التي يدعونا إليها المجتمع الأخوي الذي يسيّره الروح القدس.

وبخصوص هذا الموضوع بالتحديد سعى توماس مرتون إلى مساعدة الأخوات الراهبات في دير "الدم الثمين" في ألاسكا – وأيضاً مساعدة كل من قرأ كتاباته – ساعدهم لتأديته. وشخص أنيس وعذب المعاشرة مثل توماس مرتون – والذي كان بالتأكيد متواضعاً للغاية – كان نابغة أيضاً. وباستبصار ثاقبٍ، يتناول فكر آرنولد ويعلنه. ويستدعينا مرتون للمثول أمام مستوى سامٍ للروح القدس مع كل من آرنولد وغاندي ومارتن لوثر كنج، وأمام عالم المحبة – ليس محبة مثالية، بل واقعية وعملية عاشها هؤلاء الناس وماتوا من أجلها.

وقد أعرب "مرتون" في خطابيه المنشورين عن اعتقاده الراسخ أن "آرنولد" قد تطرّق إلى جميع المواضيع وشرحها شرحاً وافياً. إذ أنه يضع "آرنولد" ضمن السياق التاريخي حاملاً وضوحاً حاداً ومن ثم يتابع ليستفاد استفادة حرفية شاملة من كتاب عصري بارع – بقلم أستاذ. ولا يتردد في إجراء بعض الانتقادات لبعض الحالات التي شعر فيها أن "آرنولد" قد غالى في قضيته، إلا أنه سرعان ما يؤهل

كفاءتها عن طريق إظهار صحة جوهر تبصُّر وعِلم "آرنولد" واستنتاجه النهائي. و "مرتون" حاله كحال "آرنولد"، فهو متمركز جداً حول المسيح، ولا يسعنا إلا أن نُشيد بسِعة تفهمه لنظرة بولس الرسول إلى لاهوت المسيح فضلاً عن الاطمئنان، الخالي من الارتباك أو التكلف، الذي يحوك به أسلوب طرحه للأمور. ويعلن الحقيقة، وبلغة صريحة للغاية، أن المجتمع الأخوي المتقاسم ما هو إلا انتصار المحبة على الموت، والذي يحيا – وفيه ناس عاديين – بفضل إتحاده مع المسيح، ومع نعمة نصرته.

ويؤكد كل من "مرتون" و "آرنولد" على أن الناس العاديين بإمكانهم أن يعيشوا نشوة النصر عندما يتم تحقيق مجتمعاً أخوياً، ولكن ليس بفضل أعمالهم؛ أنها ممكنة فقط بفضل أعمال اللّه فيهم كأفراد وأعماله فيهم كجماعة. ونحن بحاجة إلى رؤية هذا الأمر على حقيقته وبكامل الوضوح. وإن لم نفعل ذلك، فلن يكون بمقدورنا مواجهة الشر الذي في داخلنا الذي يعارض المجتمع الأخوي. إننا نسمح للشر أن ينال من عزيمتنا، كما نتخلى عن محاولتنا لنعيش حياة أخوية مشتركة، أو نكبتها في داخلنا ونبني علاقات سطحية وغير صادقة لا تحقق أبداً مجتمعاً حقيقياً. إذ أنّ الخطاة المساكين الضعفاء الغير حكماء بالحكمة الأرضية هم الذين يجد المسيح فيهم

فرحه ومجده حينما يضمهم معاً في وحدة المحبة عن طريق حركة روحه القدوس. وكما يقول "مرتون": "إن الشيء الأساسي هو أن نبني مجتمعنا الأخوي على محبة اللّه وليس على محبتنا البشرية." وفي وسط خلافاتنا يجب ألا يكون سؤالنا: "من هو على حق؟" بل: "هل نؤمن؟"، "لأن الإيمان يجب أن يكون في الطليعة، والمُحِق الوحيد هو اللّه."

وأنا على يقين من أن "آرنولد" ما كان سيشعر إلا بالفرح إزاء أفضل رواد الكتّاب الكاثوليكيين لهذا القرن ألا وهو "توماس مرتون" الذي كان في تناغم تامٍ معه في الفكر، تناغم طفح إلى الحياة ولاسيما أن "مرتون" عاش حياة الرهبنة التقليدية السحيقة القِدم والتي بالنسبة للعزاب تُجسِّد جميع القيم والمُثُل التي تمسّك بها "آرنولد" بشكل نفيس وجوهري للمجتمع المسيحي الحقيقي. وكم طاب خاطر "مرتون" على نشيد "آرنولد" عن العمل والكدّ والحياة البسيطة – هذا الراهب الذي كان ينتمي إلى رهبنة معروفة بروحية البساطة.

عندما نرى عمالقة روحيين مثل "توماس مرتون" و "ايبرهارد آرنولد" يلتقيان في نقطة كانت تعتبر في الماضي مثل هوّة غير قابلة لمدِّ جسراً عليها، فلا نحصل على الإلهام فحسب بل يمكننا رؤية الكيفية والأسباب التي أدت بنا إلى هذا الزيغ الذي نحن عليه اليوم،

بل حتى يمكننا أن نتشجع لنحلم أحلاماً ما كنا نجرؤ عليها في السابق. وطالما تجرأت الشخصيات النبوية على مر العصور على إعلان : "عندي حلم" (كما قال مارتن لوثر كنج)، فنحن أيضاً عندنا حلم – حلم يتحقق. ومازال الدرب أمامنا طويل، إلا أنَّ ما يقوينا هو ذلك الغذاء الذي يُعيننا في رحلة الحياة، مثل الخبز الذي يقدّمه لنا "آرنولد" في برّية الحياة هذه: من أجل تحقيقٍ كاملٍ للتضامن البشري في يسوع المسيح. ويا لسعدنا، إذ أنّ روح يسوع المسيح بجد ذاته قد أخضعنا إليه،، الذي ينفخ بعبيره ويتفوه بألسنة الناس الذين لا يخشون الانفتاح كلياً على ذلك الروح الذي يتعذّر على البشر السيطرة عليه ولا على تحركاته.

باسل بينينجتون

Basil Pennington

نيسان 1995

ايبرهارد آرنولد

سِرُّ مجتمعنا الأخوي

لماذا مجتمع أخوي كليّ المشاركة؟

إن الحياة في المجتمع الأخوي ليست أقل من ضرورة بالنسبة لنا – إنها "ضرورة" لا مفر منها والتي تحدد كل شيء نفكر فيه. ومع ذلك، لم تكن نياتنا الحسنة أو جهودنا الخيّرة هي العامل الحاسم في اختيارنا لهذا الأسلوب من الحياة. وإنما بالأحرى، قد غَمَرَنا اليقين – الذي تكمن قوته وأصله في مصدر كل شيء موجود. ونقرّ أن اللّه هو هذا المصدر.

يجب أن نعيش في مجتمع أخوي كليّ المشاركة لأن الحياة بأسرها قد خلقها اللّه على أساس نظام جماعي متشارك تعمل باتجاه المجتمع المتّحِد.

الإيمان هو أســــاسنــا

إن اللّـه هو مصدر الحياة. وقد تأسست حياتنا المشتركة عليه وصارت بفضله، وقد قادها مرة بعد أخرى إلى نصرة نهائية بعد خوض صراعات عنيفة. إنه طريق خطِر إلى أبعد الحدود، وطريق الآلام البالغة. إنه طريق يأخذنا إلى وسط صراع الوجود وصراع واقعية حياة العمل، وإلى وسط جميع الصعوبات التي خلقها السلوك البشري. ومع ذلك، فإن هذا الأمر بالذات يعتبر فرحتنا من الأعماق: حينما نرى بوضوح الصراع الأبدي – أي ذلك الشدّ الذي يفوق الوصف بين الحياة والموت، وموقع الإنسان بين الجنة والنار – ولا نزال، بالرغم من شراسة الصراع، نؤمن بطاقة الحياة الغامرة، وبقوة المحبة الغالبة، وببهجة نصرة الحق، لأننا نؤمن باللّه.

هذا الإيمان ليس نظرية بالنسبة لنا ولا هو تعليم أو نظام من الأفكار المرتبة ولا هو كلام منسوج ولا هو بدعة أو مؤسسة. إنه يعني تلقّي اللّه بحد ذاته – إنه يعني الانغمار باللّه. والإيمان هو القوة التي تُعيننا على المُضِيّ في هذا الطريق. فهو يدعونا إلى التوكل على اللّه في كل مرة وبالأخص حينما نرى، ومن منظار بشري، أن أساسيات التوكل قد تم تدميرها في العالم. ويعطينا الإيمان رؤية لتفهم ما هو أساسي وما هو أبدي. إنه يعطينا عيوناً لرؤية ما لا يمكن رؤيته،

وأيادٍ تلمس ما لا يمكن لمسه، بالرغم من وجوده دائماً وفي كل مكان.

إذا كان عندنا إيماناً، فلا نعود نُدين ونحكم على الناس بحسب مقاييس التقاليد الاجتماعية أو على أساس ضعفهم، لأن أعيننا ستتفتّح لترى الكذب والخداع القابِعَين وراء أقنعة مجتمعنا البشري المتعلق بالمال والماديّات وكذلك الغير طاهر والسفّاح. ومن ناحية أخرى لن نسمح لأنفسنا أن تتوهم لتعتقد بأن الطبيعة المؤذية والمزاجية الذَين تتميز بهما الصفات البشرية هما من صلب طبيعة الإنسان وبأنهما قَدَرَه النهائي الذي يستحيل تغييره (رغم واقعية وجود هذه الخصال). مما لاشك فيه، نحن البشر، مع طبيعتنا البشرية كما هي عليه، عاجزون عن العيش في مجتمع أخوي بدون عون اللّه وغير مؤهلون لها. فتضع كل من التقلبات السريعة بالمزاج ونزوات حب التملك، والتعطش إلى الإشباع الجسدي والعاطفي، وموجات عارمة من حب الارتقاء، وسرعة الزعل، ونزعة فرض التأثيرات الشخصية على الآخرين، والمُتَع والحقوق التي يصنعها الإنسان بشتى أنواعها – كلها تضع عقبات لا تُقهر أمام طريق المجتمع الحقيقي. ولكننا مع الإيمان لا يمكننا أن ننخدع والتسليم بأن هذه الحقائق (الخصال) حاسمة ولها الكلمة الأخيرة؛

فلا تصمد هذه الأمور بوجه جبروت اللّه ومحبته القاهرة لكل شيء. فاللّه أقوى من هذه الحقائق. وطاقة روحه القدوس المُوَحِّدة تتغلب عليها جميعاً.

وهنا يتجلى الأمر بوضوح من أن تحقيق مجتمعاً حقيقياً، وبناء حياة مشتركة، مستحيل بدون الإيمان بقوة أعلى. وبرغم بكل ما يبوء بالفشل، يحاول الناس مرة بعد أخرى وضع ثقتهم إما بالفضيلة البشرية (والتي هي موجودة فعلاً) أو بقوة القانون. وتنتهي جميع جهودهم بالحزن عند مواجهتها لحقيقة الشر. فالقوة الوحيدة القادرة على بناء مجتمعاً حقيقياً هي الإيمان بذروة سِرِّ الخير، أي الإيمان باللّه.

يجب أن نعيش في مجتمع أخوي متشارك لأنه لا ينكشف عجز الإنسان الغير مخَلّص في أن يحيا هذه الحياة إلا بمغامرة إيجابية كهذه. هذا من ناحية. أما من الناحية الأخرى، فسيتبيّن لنا ومن خلالها جبروت الطاقة الحيوية التي تبني المجتمع الإخوي، والتي هي اللّه.

المجتمع الأخوي هو الجواب الشافي للمسألة السياسية والاجتماعية

هناك منظمات سياسية تناضل، مثلما نحن نناضل، من أجل السلام الدولي، ومن أجل حلّ وإلغاء الملكية الخاصة، ومن اجل مجتمع كليّ المشاركة بالممتلكات. ومع ذلك، لا يمكننا وببساطة الوقوف في صف هذه المنظمات والقتال في معاركهم بأسلوبهم. فنحن نشعر بانجذاب، سوية معهم، نحو جميع الذين يعانون من الحاجة والكرب، ونحو الذين يفتقرون إلى طعام أو مأوى ونحو الذين قد تعطل نموهم الفكري بسبب الاستغلال. ومعهم نقف صفاً إلى صف بجانب المعدمين والفقراء والمحتقرين والمظلومين. إلا أنّنا نتجنب الانخراط بذلك النوع من الصراع الطبقي الذي يستخدم وسائل عنف في سبيل أخذ ثأر النفوس المُستَغَلّة.

يجب أن نعيش في مجتمع أخوي لأن موقفنا في القتال الروحي هو لصالح جميع أولئك الذين يناضلون من أجل الحرية والوحدة والسلام والعدالة الاجتماعية.

المجتمع الأخوي هو الجـــواب للإيمـــان

إن جميع الثورات، وجميع الحركات المجتمعية والمثالية أو ذات التوجه الإصلاحي تجبرنا باستمرار على إدراك شيئاً واحداً فقط قادر على إحياء إيماننا بالخير ألا وهو: مثال حيّ واضح من الفعل يكون مولود من الحق، حينما يتحد الفعل مع الكلمة في اللّه. ولدينا سلاح واحد فقط ضد الفساد الموجود اليوم – وهو سلاح الروح القدس، والذي هو عبارة عن عمل بنّاء يجري في الجماعة التي تسود علاقاتها المحبة. نحن لا نعترف بمحبة عاطفية على صعيد المشاعر، أي بمعنى محبة من دون عمل. ومن ناحية أخرى، لا نعترف بتفانٍ في شغل عملي إذا لم يقدم برهاناً يومياً عن علاقات قلبية فيما بين الذين يعملون معاً، وعن علاقات تأتي من الروح القدس. إن محبة العمل مثلها مثل عمل المحبة فهي من فضل الروح القدس. فالمحبة الآتية من الروح القدس هي عمل.

عندما يصبّ العاملون من رجال ونساء جهودهم في بودقة واحدة، وبصورة طوعية، من أجل أن يتبرءوا من كل الخصال المُتَعنّتة والانعزالية وأيضاً من المُلكيّة الخاصة فستصبح وحدتهم أمام جميع الناس أشبه بمؤشر يؤشر إلى سمو الوحدة، والتي تكونت في محبة اللّه

وبقدرة ملكوته الآتي. إن رغبة الفرد الساعية إلى ملكوت السلام هذا – السلام للجميع – والتي تشبه روحية الإخاء الخالية من الظنون والضغائن في أماكن العمل، إنما مصدرها اللّه. فالعمل وحده قادر على جعل الحياة الأخوية المشتركة ممكنة، لأن العمل يعني الفرح بالكدّ والتعب في سبيل الخير المشترك وكذلك الفرح بالصحبة مع هؤلاء الذين نبذل الجهود معهم. وسيهبنا الله هذا الفرح مادمنا نعمل على إحياء علاقة مُكرّسة له، ويشمل هذا حتى عند أداءِنا لأكثر المهام دنيوية – أي مادمنا نتذكّر أن كل ما هو ماديّ وأرضي يجب علينا تكريسه في الوقت نفسه لتمثيل المستقبل الإلهي.

يجب أن نعيش في مجتمع أخوي لأن اللّه يريدنا أن نتعاطف مع عطش زماننا وإشتياقاته الغير واضحة، بواسطة تقديم جواباً شافياً وواضحاً للإيمان.

المجتمع الأخوي خلال تأريخ الكنيسة

إن حياة المحبة المملوءة بالروح القدس والناشئة عن الإيمان قد تمَّ الشهادة لها بصورة قاطعة عبر القرون، وبالأخص من قبل الأنبياء اليهود ومن قبل المسيحيين الأوائل من بعدهم. إننا نعترف بيسوع المسيح، ذلك الشخصية التاريخية، وبكامل رسالته والتي أعلنها رسله ومارسها أتباعه. لذلك نقف كأخوة وأخوات مع جميع أولئك الذين انضموا معاً ليعيشوا في مجتمع أخوي خلال مجرى التأريخ الطويل. فقد ظهروا بين مسيحيي القرن الأول؛ وفي الحركة النبوية المدعوة بال "مونتانيسية Montanists" في القرن الثاني والتي امتدت إلى القرن الثامن؛ وفي الحياة الرهبانية المتعددة في القرون التي تلت؛ وفي حركة العدل والمحبة الثورية بقيادة "آرنولد البريشي Arnold of Brescia" في إيطاليا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر والذي دعا إلى احتضان الفقر الذي تميّز به الرسل؛ وفي الحركة ال "والدنسية Waldensian movement" في القرون الوسطى في أوروبا؛ وفي المجتمعات الأخوية المتجولة لجماعة "فرنسيس الأسيزي Francis of Assisi"؛ وبين "الإخوة البوهميين والمورافيين Bohemian and Moravian Brethren" – حالياً في جمهورية

التشيك - في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، و"جماعة إخوة الحياة المشتركة the Brothers of the Common Life" في القرن الرابع عشر في هولندة؛ وبين جماعة الـ "بيجين والـ بيغارد Beguines and Beghards" في القرنين الثالث عشر والرابع عشر في ألمانيا؛ وفي حركة "المعمدين ثانية- الأنابابدست Anabaptists" في القرن السادس عشر في عموم أواسط أوروبا؛ وفي بدايات "طائفة الأصحاب Quakers" في القرن السابع عشر في انكلترة؛ وبين "جماعة جين دي لابادي Labadists" في القرنين السابع عشر والثامن عشر في فرنسا؛ وبين أوائل "جماعة المورافيين Moravians" - حالياً جمهورية التشيك؛ وفي الكثير من الطوائف والحركات إلى يومنا الحالي.

يجب أن نعيش في مجتمع أخوي لأننا مجبورون من قِبل الروح القدس نفسه الذي أرشد الناس مراراً وتكراراً إلى حياة المجتمع الأخوي منذ أيام الأنبياء المذكورين في الكتاب المقدس ومنذ أيام المسيحيين الأوائل.

> الحياة في المجتمع الأخوي تعني الحياة في الروح القدس

المجتمع الأخوي في الكنيسة الأولية إننا نعترف بيسوع المسيح وأيضاً بالمسيحية الأولية. فقد كرس المسيحيون الأوائل أنفسهم لخدمة حاجات الناس الخارجية بالإضافة إلى الروحية. إذ قد جلب يسوع حياةً: فقد أشفى الأجساد المريضة، وأقام الموتى، وطرد الشياطين من النفوس المعذبة، وحَمَلَ رسالته، رسالة الفرح، إلى أفقر الفقراء.

وتعني رسالة يسوع تحقيق الملكوت المستقبلي الغير مرئي في زماننا الحاضر؛ إنها بالأحرى وعدٌ من أن الأرض كلها سيتم الفوز بها في النهاية للّه.

فما يهم هنا هو الكل بجملته. فمثلما لا تستسلم محبة اللّه عند عقبة أو حدّ معين أو التوقف عند أي حاجز كان، فهكذا لا يتوقف يسوع عند مجابهته للممتلكات التي تستحوذ على النفوس، وكذا الحال عند مجابهته للّاهوت أو لمذهب الأخلاقيين أو للدولة. فقد نظر يسوع إلى أعماق قلب الرجل الغني، وأحبه وقال له: "يُعْوزُكَ شيءٌ واحدٌ :اذهَبْ بِعْ كُلَّ ما تَملِكُه ووَزِّعْ ثَمَنَهُ على الفُقَراءِ... وتَعالَ اتْبَعني" (مرقس 10: 21). طبعاً، كانت المسألة بالنسبة ليسوع مسألة تجرد التلاميذ من الأملاك الخاصة بهم وإبقاء صندوق

واحد مشترك. فقد تم توكيل رجل واحد فقط بمسؤولية مكروهة ألا وهي إدارة أموال التلاميذ، وقد سقط فريسة لها – وهذا درس ليس قليل الأهمية لمجتمعنا العصري المتعلق بحب المال.

ورغم أن المسيح خانوه وأعدموه إلا أنَّ هذا لا يعني أنهم أوقعوا الهزيمة به. فالتجربة الحماسية مع الروح القدس التي وهبها ذاك القائم من بين الأموات إلى تلاميذه المتجولين أعطتهم القوة للاستمرار بحياتهم الأخوية المشتركة وعلى نطاق أوسع. وصارت الكنيسة الأولية مجتمعاً أخوياً يتألف من عدة آلاف من الناس، لأن المحبة كانت مشتعلة في داخلهم، وكان على بعضهم أن يلازم بعضاً ويبقوا معاً. وفي جميع شؤون حياتهم المشتركة، كانت الكيفية التي يتوصلون إليها تتلاءم مع تفهّمهم للحياة على أنها وحدة واحدة موحّدة.

لقد جعل المسيحيون الأوائل في أورشليم كل شيء مشتركاً. فكل من كان يملك أملاكاً شعر داخلياً بضرورة مشاركتها. فلم يكن لأحد شيئاً ليس ملكاً للكنيسة. ومع ذلك، فإن ما كانت تملكه الكنيسة كان لخدمة الجميع. فمحبتها الكريمة لم تستثنِ أحداً، ومن إحدى مزاياها كان: الباب المفتوح للجميع والقلب المفتوح للجميع. وفي أزمنة ازدهارها وجدت سُبلاً لتبلغ جميع الناس. وبرغم

من أن أفرادها صاروا بالتأكيد هدفاً للحقد والعداء، إلا أنَّهم واصلوا الفوز بمحبة وبثقة من كان حولهم. وكان أمراً لا مفر منه، لأنهم عاشوا هناك من كل قلوبهم ونفوسهم في خدمة أيّاً كان.

المجتمع الأخوي اليوم لقد عاش المسيحيون الأوائل في الروح القدس. وحقيقة الروح القدس أنه يهبّ كالريح – فهو ليس متحجراً كالحديد أو كالصخر... أبداً. فالروح القدس أكثر حساسية ورهافة، وبصورة لا متناهية، من كل التخطيط الذهني الجامد أو كل الأنظمة الحكومية أو كل أنظمة الخدمات الاجتماعية الفاترة أو الصارمة. إذ أن الروح القدس ذو حساسية أكثر حتى من جميع عواطف البشر، ومن جميع طاقات القلوب، والتي على هذه الطاقات يحاول الناس غالباً بناء صرحهم العظيم الدائم، ولكن بدون جدوى. ولهذا السبب بالذات، فإن الروح القدس أقوى بكثير من كل هذه الأشياء ولا يمكن مقاومته، وأيضاً لا يمكن التغلب عليه بأية طاقة كانت أبداً، مهما كانت شنيعة؛ لأنه هو بحد ذاته عرض وعمق وارتفاع الإنسان.

في يسوع، الذي عاش حياة ملؤها المحبة بدون عنف، ومحبة بدون رجاة للحصول على أي حق شخصي، ومحبة بدون رغبة

للتملك، ففي يسوع مازال الروح القدس يحيا بكل عنفوانه مثل عنفوان ذاك "القائم من بين الأموات"، ومثل عنفوان الصوت الداخلي والبصيرة الباطنية التي تقود الإنسان إلى المجتمع الأخوي.

إن نور الكنيسة الأولية ينير الدرب للبشرية بمجرد ومضة سريعة منه. فقد بقيت روحية الكنيسة الأولية حيّة وكذلك شهادتها. حتى بعد أن تمَّ بعثرة أفرادها وقتل العديد منهم. وبين فترة وأخرى، كانت تنبثق على مرّ التأريخ أخويات بصيغ مماثلة كعطايا إلهية، وكتعبير للروح القدس الحيّ نفسه. وقد قُتِل الذين قدموا الشهادة، ومات الآباء، ولكن أولاد جدد للروح القدس وُلِدوا – ومازالوا يولدون – باستمرار. وهذه الجماعات الأخوية ترحل، لكن الكنيسة (السماوية) التي صنعت هذه الجماعات تبقى ماثِلة.

أما الجهود التي تسعى لتنظيم مجتمعاً أخوياً بصورة مصطنعة فمصيرها المحتوم هو عمل كاريكاتيري بشع خالٍ من الحياة. لكن عندما نفرّغ أنفسنا ونتفتّح لذاك الحيّ – للروح القدس – فعندئذ فقط سيكون الروح القدس قادراً على خلق الحياة المذكورة آنفاً بين أحضاننا، مثلما خلقها لدى المسيحيين الأوائل. إن الروح القدس هو الفرح بذاك الحيّ، والفرح باللّه على اعتباره الحياة الحقيقية الوحيدة؛ إنه فرح بكل الناس لأن جميعهم نالوا حياة من اللّه. هذا

ويسوقنا الروح القدس إلى جميع خلق اللّه، كما يوافينا بالفرح حين بعضنا يعيش ويعمل من أجل بعض، لأنه روح الإبداع والمحبة.

إنَّ الحياة الأخوية المشتركة ليست ممكنة إلا في ظل الروح القدس الحاضن للجميع وفي كل ما يجلبه معه؛ أي بمعنى حياة روحية عميقة وفرصة لتجريب الحياة بمزيد من الحماسة والتركيز. ويُعتبر تسليم الذات للروح القدس تجربة قوية لا تضاهيها أية تجربة مررنا بها سابقاً. بالحقيقة والواقع، إن الروح القدس وحده الذي يساوي نفسه، أي لا أحد يضاهيه بقدراته. إنه يهيّج طاقاتنا عن طريق إيقاد أعماق صميمنا – التي هي وحدة بناء الحياة الأخوية – فهو يهيّجنا إلى حرارة متوهجة وإلى درجة أنها تطلق ضوءاً ناصع البياض، إذا جاز التعبير. وعندما يشتعل هذا الصميم ويلتهب إلى درجة التضحية، سيشع إلى مسافة أبعد وأوسع.

إن الحياة الأخوية المشتركة تشبه الاستشهاد حرقاً بالنار؛ إنها تعني تضحية يومية وبذل جميع قوانا، وتخلٍ عن جميع حقوقنا، وعن جميع المطالب التي نخلقها بأيدينا ونريدها من الحياة، ونحسبها حلال علينا. ويشبّه الأمر بالنار، حيث تحترق كل قطعة من الحطب فيه بأكملها، وجنباً إلى جنب مع غيرها، ليبعث لهيبها المتوهج دفئاً ونوراً إلى الأرض الباردة من حولها باستمرار.

يجب أن نعيش في مجتمع أخوي لأن روح الفرح والمحبة تمنحنا إلحاحاً ولهفة لننفتح على الآخرين من الذين نتمنى أن نتّحد معهم طوال العمر.

الرمزية في المجتمع الأخوي

المجتمع الأخوي هو نموذج عن الطبيعة إن الحياة بجملتها، وبجميع الصيغ المتعددة التي تأخذها في الطبيعة، هي مَثَلٌ عن المجتمع المستقبلي للملكوت. فمثلما يحيط بنا الهواء، أو تغمرنا ريح عاصفة، فهكذا يلزمنا أن ننغمس في الروح القدس العاصف، الذي يوحِّد ويجدد كل شيء. وتماماً مثل الماء الذي يغسلنا ويطهرنا كل يوم، فهكذا الأمر مع الرمز العميق للمعمودية بالتغطيس، حيث أننا نشهد عن تطهّرنا من كل ماله علاقة مع الموت. "فالدفن" بالماء هذا، والذي يجري مرة واحدة فقط، يشير إلى انقطاع كامل عن الانخراط بالوضع الراهن؛ إنه نَذْرٌ لتبني نزاعاً مستميتاً ضد الشرّ في داخلنا، ومن حولنا. وعلى نفس الشاكلة، فإن الخروج من الماء، والذي يحدث كذلك مرة واحدة، يعلن القيامة بتعبير مجازي حيّ مصحوباً بوضوح لا يمكن نسيانه.

ولا تختلف القيامة التي نشاهدها في كل مكان في الطبيعة عن هذا الموضوع: فبعد انقضاء موسمي الخريف والشتاء يأتي الربيع المُزهِر ومن ثم الصيف المُثمِر؛ وبعد موسم البَذْر يأتي موسم الحصاد. وفي الحقيقة والواقع، تُعتبر دورة حياة الإنسان بأسرها، من أصل بدايته ولغاية نهايته، متمثلة برمز دورة الحياة في الطبيعة.

يمكننا إيجاد هذه الرمزية في الأمور المعيشية العادية أيضاً: فعندما يتم التعامل بوقار مع الأمور، ستصبح حتى الطقوس اليومية مثل المآدب الحبيّة المشتركة، ستصبح احتفالات ذات معنى عميق للجماعة الأخوية وليس فقط كشعائر. وعلى مستوى أسمى، نجد أنه قد تم التعبير عن المجتمع الأخوي في رمزية العشاء الرباني: أي مأدبة الخبز والخمر. فلا تقتصر الشهادة التي تقدمها هذه المأدبة - مأدبة إحياء ذكرى المسيح - على إعلان كلاً من فاجعة موته ومجيئه الثاني فحسب بل أيضاً على حقيقة أننا نتلقى المسيح في داخل نفوسنا. فهي تشهد على كنيسته – جسده السرّي – على اعتبارها قمة الوحدة والوئام للحياة.

المجتمع الأخوي بمثابة الجسد إن الرمزيّة الثنائية للجسد الذي تسري فيه الروح - وللخليقة التي يسكنها الروح القدس - يمكن رؤيته في كل إنسان بصورة واضحة وفريدة من نوعها. ويكتسب معناً خاصاً في إتحاد شخصين ضمن إطار الزواج؛ لأن الزواج على اعتباره رباط الوفاء لرجل واحد مع امرأة واحدة، فهو كالصورة التي لا ترمز إلى إتحاد الروح القدس مع البشر فحسب بل أيضاً إلى إتحاد المسيح مع كنيسته. ففي الزواج، تصير الطهارة - والتي هي ضبط

النفس المتّزن نحو الجنس - فرح تحرّري بالحياة المخلوقة لوليد جديد.

يتم ديمومة حياة الجماعة في داخل جسم الإنسان بأسلوب واحد لا غيره ألا وهو بواسطة الدورة المتواصلة لعملية تعويض بخلايا جديدة بدل الخلايا التي تموت. وعلى الغرار نفسه، يمكن لحياة من المشاركة الكلية أن تظهر إلى حيز الوجود وتتخذ شكلاً مشابهاً لأعضاء الجسم في حالة واحدة فقط ألا وهي عند وجود تضحيات فدائية. ولما كانت الحياة الأخوية المشتركة عبارة عن شركة من العلاقات ذات خاصية تعليمية تتضمن التعاون والإصلاح الخُلُقي المتبادل، والمشاركة في الممتلكات، والمشاركة في العمل، فإن المجتمع الأخوي الحقيقي يعتبر عهد يقطعه الفرد على نفسه بتكريس وتضحية طوعيتين. وبهذه الطريقة فهو يقاتل من أجل بقاء الكنيسة.

وفي سياق الكلام عن مجتمع الكنيسة الأخوي، فالعدل فيه لا ينطوي على تعزيز وإرضاء حتى المطالب المعقولة للحقوق الشخصية لأفراده؛ بل على العكس؛ إنه ينطوي على إعطاء كل فرد فيه فرصة ليخاطر بكل شيء، وليسلم نفسه كلياً للّه لعله يتجسد في حياته، ولعل الملكوت يقتحم حياته بكل قوته. ولكن لا يمكن لكل هذا أن يحدث بصيغة مطالب قاسية تُفرض على الناس، وإنما

بتضحيات طوعية يملأها الفرح - لأن روح اللّه القدوس يتخذ تعبيراً بهيجاً وباسلاً عند تقديم التضحيات؛ وبإرادة حرّة كاملة؛ وسروراً بالعمل، والفرح بلقاء الناس، وبتفانٍ في كل شيء. إذ نرى الفرح والحماسة في هيئة محبة وخدمة فعّالة مليئة بالحركة.

نحن نحب ونحترم جسد الإنسان لأنه مكان مكرس لسُكنى الروح القدس. كما نحب التربة لأن روح اللّه القدوس خلق الأرض بكلمة منه، ولأنه دعاها من حالتها الطبيعية الغير محروثة لكي يتسنى حرثها بالعمل المشترك للإنسان. ونحب العمل البدني - عمل العضلات والأيادي - ونحب فنون الحرفيين، حيث تتساق اليد بالروح. فنرى فيه سرّ المجتمع الأخوي، ووفقاً لأسلوب عمل الروح مع الأيادي، حين بعضهم يعمل من خلال بعض.

نحب تفاعل الفكر مع الروح أيضاً: فهذا التفاعل يُغني جميع الفنون الإبداعية والذي يستكشف التداخلات الروحية والعقلية لعلاقتهما المتبادلة في التأريخ وفي مصير الإنسانية السلمي. وأيّاً كان نوع العمل الذي كنّا نشتغل فيه، فيلزمنا معرفة مشيئة اللّه له ومن ثم إنجازه. وقد خلق اللّه - ذو الروح القدس الخلّاق – كل الدنيا، وأوكل الأرض لنا، نحن أولاده من بنين وبنات، كورثة ولكن

أيضاً سلّمنا إياها كمهمة: إذ يجب أن تصبح حقوله حقولنا، ويجب أن تتوسع آفاق عملنا لتطال ملكوته.

يجب أن نعيش في مجتمع أخوي لأن الروح القدس نفسه يلهمنا بذلك، ذاك الروح الخلاق، وروح الوحدة، الذي يدعو الدنيا كلها إلى الوحدة والتي بفضل هذه الوحدة يصير العمل وأسلوب الحياة مجتمعاً أخوياً متلاحماً في ظِلّ اللّه.

المجتمع الأخوي علامة على ملكوت اللّه الآتي

إن الرمزية في المجتمع الأخوي لها الأهمية نفسها التي للرمزية في جسم الإنسان، لأن المجتمع الأخوي يعتبر بشيراً لملكوت الله, ويعتبر أيضاً الخبر السارّ من أن اللّه سينتصر على الأرض. فعندما يحكم اللّه سيكون هناك فرحاً وسلاماً وعدلاً. ومثلما يتألف كل جسم بشري حيّ من الملايين من الخلايا المستقلة، فهكذا سيصبح الجنس البشري مثل كائن حيّ واحد. ويوجد فعلاً هذا الكائن الحيّ في يومنا هذا في الكنيسة الغير منظورة.

عندما نعترف بواقعية وحدة ونظام هذه الكنيسة الغير منظورة، فإننا نعترف في الوقت نفسه بِحرّية الروح القدس داخل هذا النظام. وكلما تزداد معرفة الجماعة الأخوية بأهمية دورها الفريد، سيتعمق وعيها بالتأكيد بانتمائها للكنيسة المقدسة الواحدة *una sancta*. ولما كان المجتمع الأخوي جزءً من كائن حيّ أكبر منه، فسيحتاج إلى مبدأ الأخذ والعطاء الذي يتأتى من خدمته للجسد بأكمله، وسيحتاج أيضاً إلى الاسترشاد والتوجيه من قِبل الشهادة الموحِّدة لجميع المؤمنين بالكنيسة وبدورها.

طوعية اختيار الطريق وطوعية التكريس إن سرّ المجتمع الأخوي كامن في حرية التصميم الذاتي للفرد، وفي القرار الشخصي الحُرّ والطوعي لكل فرد فيه في تكريس نفسه إلى الجماعة، وأيضاً في ممارسة أرادته للخير. ولا تتوقف هذه الحرية، التي بدونها لا يمكن لأية حياة مشتركة أن توجد، على قوة الإرادة الحرة للفرد من جهة ولا على كون الفرد جباناً أو مستعبداً من جهة أخرى. فلما تتأثر أية جماعة تأثّراً صميماً وتؤمن بالروح القدس وحرية حركته، فستحيى حينئذ حرية الفرد وستنتعش بفضل جميع القرارات الحرّة التي تتخذها الجماعة بالإجماع، ذلك الإجماع الذي يحققه الروح القدس. والحرية النابعة من باطن كل فرد والعاملة فيه من أجل الخير، تصير اتفاقاً ووئاماً. وعندما يتم تحرير إرادة أي رجل أو امرأة بهذه الطريقة سيجري توجيهها نحو الملكوت، ونحو الوحدة التي يرومها اللّه، ونحو خير الجنس البشري بأسره. وبهذا تصير الحرية أكبر طاقة حيوية وتوهجاً للحياة.

أما عزيمة الفرد المفعمة بالحركة والنشاط في عالم يسوده الموت، فلا بد لها أن تواصل إصرارها ضد كل من القوى المُخرِّبة والمهيمنة مثل الكذب وعدم الطهارة والرأسمالية والقوة العسكرية. إذ تراها مشتبكة في معارك في كل مكان: معارك ضد روح القتل

وسفك الدماء، وضد شتى أنواع العداوات (بما فيها السمّ والحقد الذي يزرعهما اللسان المُتلاسن والمُعيِّب والمُزدري)، وضد شتى أنواع الأذى والظلم الذي يقترفها الناس بعضهم ضد بعض. بمعنى أن هذه العزيمة تقاتل علانية وأيضاً في داخل الحياة الشخصية ضد غريزة الحقد والموت، وضد كل ما يعارض المجتمع الأخوي. والدعوة إلى الحرية هي دعوة إلى معركة بدون توقف، وحرب بدون راحة. ويحتاج المدعوون إليها أن يحترزوا باستمرار. ولا يحتاجون إلى أشد قوة إرادة يجمعونها بقوتهم الذاتية فحسب، بل أيضاً إلى عون جميع القوى الأخرى التي يقدمها اللّه إليهم، لكي يتسنى لهم الكفاح والتعامل مع مآزق المظلومين، والوقوف جنباً إلى جنب مع الفقراء، والمجاهدة ضد الشرور كلها في داخلهم وحواليهم.

يجب إشعال هذه المعركة ضد الشرّ في داخل أي مجتمع أخوي كان وبأكثر شدة مما يجب أن تُشعل ضد العالم من حواليه، بل يجب أن يشتد سعيرها أكثر في أحشاء كل فرد فيه. وتجري محاربة الشرّ في المجتمع الأخوي بمعونة روح الكنيسة، والتي توطئ قدمها في داخل كل فرد لِتَثِب وتهاجم آدم القديم فيه من موقعها في آدم الجديد. وبهذه الطريقة سيتم التغلب على جميع أنواع القش مثل الليونة والتساهل الرخو بفعل اِجتياح قوة المحبة المُحرِقة.

يجب أن نعيش في مجتمع أخوي لأن صراع الحياة ضد الموت يتطلب جُنداً من الأبدان والنفوس المتحدة ليتيسر تحشيدها أينما تتهدّد الحياة بالموت.

المشاركة في الممتلكات تقتضي المشاركة في الممتلكات ضمناً رغبة كل فرد في تسليم كل ما يقتنيه، وبلا شروط، من مدخول أو أملاك، كبيرة كانت أم صغيرة، إلى الصندوق المشترك للجماعة. ومع ذلك، لا يعتبر المجتمع الأخوي نفسه كشركة تجارية تملك جميع موجوداتها ومصالحها. وإنما بالأحرى، يتصرف كالوصي على الموجودات التي يحتفظ بها من أجل خير جميع المتشاركين، ولهذا السبب يُبقي بابه مفتوحاً للجميع. ويحتاج المجتمع الأخوي وللسبب نفسه إلى إجماع تام واتفاق صافٍ في ظل إرشاد الروح القدس عندما يتخذ قراراته.

الولاء حتى النهاية مما لاشك فيه، أن حرب التحرير من أجل الوحدة وإتمام أعمال المحبة يجري القتال فيها على جبهات متعددة وبأسلحة متنوعة. وعلى الشاكلة نفسها، يتخذ كل من

السعي والكفاح في المجتمع الأخوي تعابيراً متعددة بأساليب متنوعة لأن الروح القدس غنيّ جداً ولا حدّ له. غير أنَّ ما هو رائع في الموضوع هو أن هناك يقيناً بالهدف الذي نناضل من أجله في كل خطوة يدعونا اللّه أن نخطوَها في هذا الدرب، فإذا كان لنا هذا اليقين سيهبنا اللّه القوة اللازمة للولاء والثبات إلى المنتهى وكذلك وضوحاً لا غبار عليه (حتى في الأمور الصغيرة). والصامدون وحدهم سيحملون الراية. أما الذي لا يصبر فلا يُعْهَد إليه أي شيء، ولا يوجد أي تفويض عظيم بدون مهمة محددة وواضحة المعالم.

الخضوع للجماعة كلها إن الموضوع المهم والحاسم هو أن أية مهمة خاصة يجري توكيلها لأي فرد يجب عليها أن تأخذه وتهديه إلى المسيح - وأن تخدم فعلاً الكل، أي تخدم الكنيسة، وتخدم الملكوت الآتي. وسينحرف الناس، وأينما كانوا، عندما يرون أن مهمتهم الموكلة لهم شخصياً هي شيئاً متميزاً بحد ذاتها ويتفاخرون بها. أما عندما يخدم الشخص المصلحة العامة، ولو من مكانه، وبأسلوبه، سيتمكن من القول: "أنتمي للّه وللحياة في المجتمع الأخوي،" أو للّه ولأية دعوة إلهية مهمة أخرى. وقبل أن تصير

خدمتنا البشرية خدمة إلهية، يجب علينا أن ندرك مدى صغرها ومحدوديتها بالمقارنة مع جسامة المشروع الإلهي، أي ملكوت الله.

يجب ألا يلتبس علينا الأمر مطلقاً بين أية دعوة إلهية - مثل دعوة العيش في مجتمع أخوي - وبين كنيسة المسيح بحد ذاتها. فالحياة في المجتمع الأخوي تعني الانضباط والتأديب في المجتمع الأخوي، وتعني التربية والتعليم في المجتمع الأخوي، وتعني التدريب المتواصل على إتّباع المسيح. إلا أن سِرّ الكنيسة يختلف عن ذلك - إنه شيء أعظم. إنها حياة إلهية، تأتي من عند اللّه وتتخلّل المجتمع الأخوي. ويحدث هذا التغلغل الإلهي في داخل البشر عندما يؤدي ظمأ الفؤاد الشديد والمستميت إلى الانفتاح والاستماع لكي يتسنى للّه وحده أن يتحرك ويتكلم. وفي لحظات كهذه يمكن للكنيسة الغير منظورة أن توكّل أية جماعة على الأرض وتُسلّمها صلاحية لرسالة معينة ألا وهي القول والفعل بسم الكنيسة - رغم أن هذه الجماعة لا تحسب نفسها بأنها هي الكنيسة.

المجتمع الأخوي هو دعوة إلى المحبة والوحدة

تسكن الكنيسة التي نؤمن بها في الروح القدس. وأنّ الروح القدس الذي نؤمن به يحمل الكنيسة في داخله. وستعمل كنيسة الروح القدس على تجسيد الوحدة المستقبلية للبشر الآن وتعطيه شكلاً واقعياً، لا بل إنها قد شرعت سلفاً في إحياء جميع المجتمعات التي تعيش بصدق. إن الأساس والعنصر الرئيسي لكل مجتمع أخوي هو ليس مجرد عملية ضمّ إفراده معاً فحسب بل بالأحرى هي الوحدة التي يتحلّى بها الروح القدس لا غير، لأن الكنيسة الحقيقية موجودة فيه.

نحن نعلم بأن أعضاء الإنسان تصير جسماً واحداً بواسطة وحدة نبضها بالحياة التي تسببها وتنشطها روح الإنسان التي تسري فيها. والشيء نفسه ينطبق على جماعة المؤمنين. فقد كفل لنا الروح القدس أن ينعم علينا الآن بالوحدة المستقبلية للبشر، حينما سيحكم اللّه وحده. إذ أن هذا الروح القدس هو القائد الآتي والرب نفسه. إن الأمر الوحيد الذي نتمسك به الآن وأينما كنا، والأمر الوحيد الذي يمكننا الإحساس به الآن عن هذا المستقبل الجليل

من المحبة والوئام، هو الروح القدس. إنّ الإيمان بالروح القدس هو الإيمان بالكنيسة والإيمان بملكوت اللّه.

المجتمع الأخوي يعني التضحية

في حياة أي مجتمع أخوي، هناك العديد من الأسئلة الحاسمة التي لا بد من مواجهتها باستمرار، مثل: كيف تمت دعوتنا؟ وإلى ماذا قد دعانا الله؟ هل سنُطيع الدعوة؟... وقليلون هم المدعوون إلى هذا الطريق الهامّ والذي هو طريقنا. إلا أن أولئك المدعوين – والتي هي مجموعة صغيرة مجربة بالكفاح، يجب عليها أن تضحي بنفسها باستمرار – سيتمسكون بشدة ولآخر لحظة من حياتهم بالمهمة المشتركة التي سلمهم إياها اللّه. وسيكونون على استعداد للتضحية بحياتهم في سبيل الوحدة.

نحن نعلم أن الناس يفصلون أنفسهم عن البيت أو الأهل أو المهنة لأجل الزواج؛ كما يعرّضون حياتهم للخطر من أجل زوجة (زوج) أو أحد أبنائهم. وعلى نفس المنوال، فمن الضروري جداً أن نهجر ونضحي بكل شيء لأجل دعوتنا لهذا الطريق. وسيكون لشهادتنا عن العيش طوعياً في مجتمع أخوي، متشارك في العمل والممتلكات، وعن حياة من السلام والمحبة، سيكون لها معنى في حالة واحدة فقط ألا وهي عندما نرمي بكل حياتنا ورزقنا فيه.

المجتمع الأخوي هو مغامرة الإيمان

قبل أكثر من خمسة سنوات (الآن أكثر من تسعين سنة) قررت جماعتنا الصغيرة في برلين أن تخوض مغامرة، على ضوء الإيمان التالي: وهو العيش والعمل معاً ضمن مجتمع أخوي كليّ المشاركة على أساس التوكل الكامل على الله أي الثقة العمياء به - غير عالمين بما سيحدث لنا في المستقبل. وبمرور الوقت ظهر إلى حيز الوجود مجتمع أخوي كليّ المشاركة.

نحن قليلون في العدد، وقد جئنا من أكثر الخلفيات ومناحي الحياة اختلافاً، ولكننا نريد أن نضع أنفسنا كجماعة واحدة في خدمة جميع الناس.

ولما كان أساس إيماننا هو التوكل الكامل على الله، فلا نسعى لتنمية مجتمعنا الأخوي من وجهة نظر اقتصادية بحتة. فلا نريد، بالحقيقة، اختيار أكثر الناس ملائمة للعمل في أقسام عملنا المتعددة. صحيح أننا نسعى إلى الكفاءة في كل المجالات؛ ولكن أهم ما نبحث عنه هو الإيمان. وكل منا – سواء أكان عضواً مكرساً أم مساعداً أم ضيفاً – يجب أن يتواجه باستمرار مع السؤال الآتي: بغض النظر عن المهمة أو نوع الخدمة التي أقدمها، هل أنمو أنا مع المجتمع الذي يحكمه المسيح، المجتمع الآتي، أم لا؟... لذلك،

يعتبر عملنا مغامرة جريئة يجب علينا أن نَقدِم عليها في كل حين. ومع ذلك، نحن أنفسنا لسنا بالقوة الدافعة في كل هذا – إذ أننا، بالأحرى، قد تم دفعنا والأخذ بيدنا، نحن الذين في أمس الحاجة للتحفيز والحثّ. وهنالك دائماً خطر الشعور بالإنهاك وعدم الجدوى أثناء حياتنا المشتركة، إلا أنَّ هذا يتم دحره باستمرار بالإيمان الذي هو أساس التعاون المتبادل.

توماس مرتون

خطابان تفسيرّيان

حول كتاب

ايبرهارد آرنولد

"سِرُّ مجتمعنا الأخوي"

لقد ألقى توماس مرتون خطابيه "بناء مجتمعاً على محبة اللّه" و "المجتمع الأخوي والسياسة والتأمل الروحي" في أيلول 1968 في دير "الدم الثمين" في منطقة "إيجل ريفر Eagle River"، في ألاسكا.

بناء مجتمع على محبة الله

لقد كتب "ايبرهارد آرنولد" كتابه "سِرُّ مجتمعنا الأخوي" في العشرينيات من القرن العشرين وفي زمن ساده توتر شديد. وهو يعتبر شهادة إنجيلية رائعة عن المجتمع الأخوي بالنسبة إلى ما كان منتشراً في زمانه من مجتمعات مزيفة. كما يمكن رؤيتها الآن بالنسبة إلى ما يحيطنا اليوم من لغز المجتمع الحالي. وكما تعرفون، هنالك نزعة قوية نحو مفهوم المجتمع الحقيقي لدى المؤمنين الجدد الآخذين في النمو. ويقدم لنا "ايبرهارد آرنولد"، وحسبما اعتقده، حلّاً مسيحياً مئة في المئة. ولكن قبل أن نبدأ في التفكّر في دعوتنا وحياتنا، يجب علينا أن نتوقف ونتأمل فيما كان ربنا يفعله. فلأجل أيّ قصد جاء إلى العالم؟ ولأجل أيّ قصد مات على الصليب؟ وماذا كانت غايته؟... إذ أنَّ هذه الأسئلة تؤثر حتماً على هدفنا، وتؤثر على ما نفعله.

والجواب المألوف يكون دائماً كالآتي: "جاء ليموت من أجل الخطاة." أي بمعنى أنه تم انتشالنا من الخطيئة؛ لن نذهب إلى الجحيم بعد؛ فبوسعنا الذهاب إلى السماء إذا أحسنّا التصرف. وهذا جواب غير ناضج حقاً، لأن الموضوع فيه أكثر بكثير من ذلك. لقد

جاء ربنا ليغلب الموت بالمحبة، وعمل المحبة هذا كان عملاً من الطاعة نحو ألآب وحتى ساعة الممات - وقدم لنا نفسه كلها كهدية لكي يغلب الموت. فهذا هو شغلنا. فنحن نقاتل ضد الموت؛ وقد خضنا صراعاً بين المحبة والموت، وهذا الصراع يجري في داخل كل منّا. وتسعى نصرة ربنا على الموت، أي نصرة المحبة على الموت التي جرت على الصليب، أن تتجلّى بشكل ملموس جداً على الأرض بواسطة خلق مجتمعات أخوية. فأينما وُجِد سعي من أجل خلق مجتمعاً أخوياً متمركزاً حول المسيح - وبفضل المسيح – فيعتبر ذلك المكان هو المكان الذي يجري فيه هذا الصراع والذي فيه يُظهِر المسيح نصرته على الموت بكل جلاء.

لنلقِ نظرة سريعة على القديس بولس. وربما نجد الكثير من أفضل الأقوال بشأن هذا الموضوع، ولكن هذا ما يخصنا – نحن مختارون إلى هذا الحياة الأخوية، ومع ذلك فإننا مجرد ناس عاديين، لنا محدوديتنا، مثلما شدّد عليها القديس بولس في قوله المشهور في 1 كورونثوس 1: 26-31:

> تَذَكَّروا أيُّها الإخوةُ كَيفَ كُنتُم حينَ دَعاكُمُ اللّه، فَما كانَ فيكُم كَثيرٌ مِن الحُكماءِ بِحِكمَةِ البَشَرِ ولا مِن الأقوِياء أو الوُجَهاءِ...

والعبارة "تَذَكَّروا أيُّها الإخوةُ كَيفَ كُنتُم" – تعني تذكروا هذه الحقيقة: من ترانا نحن ليدعونا الله للمشاركة في عمل المسيح، ذلك العمل الـ فوق بشري في التغلب على الموت؟

إلَّا أنَّ اللّه اختارَ ما يَعتبِرُهُ العالمُ حَماقةً ليُخزيَ الحُكماءَ، وما يَعتبِرُهُ العالمُ ضُعفاً ليُخزِيَ الأقوِياءَ. واختارَ اللّه ما يَحتَقِرُهُ العالمُ ويَزدرِيهِ ويَظُنُّهُ لاشيءَ، ليُزيلَ ما يَظُنُّهُ العالمُ شيئاً، حتى لا يَفتخِرَ بَشرٌ أمامَ اللّه. وأمَّا أنتُم، فَبِفَضّلِهِ صِرتُم في المَسيحِ يَسوعَ الذي هوَ لَنا مِنَ اللّه حِكمَةَ وبِرّاً وقداسَة وفِداءً، كما جاءَ في الكِتابِ: «**مَنِ أراد أن يفْتَخِر، فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ**».

وها نحن هنا أمام مهمة بناء مجتمعاً أخوياً، والذي من أجله مات المسيح، وتتساءلون: "من سيختار لبناء هذا المجتمع؟ إنه يختارنا نحن، مجرد ناس عاديين بضعفنا المألوف. فمن الجدير بالملاحظة هو أن من بعض الذين جاءوا إلى دير جتسماني Gethsemani[1] بأفضل العقول لم يكن لديهم دعوة إلهية؛ أما الذين كانوا لديهم دعوات إلهية فهم على الأغلب مَنْ كان يصارع دائماً مع ضعفاته ومع مصاعب الحياة المألوفة. ويجب علينا التسليم بهذه الحقيقة من أن اللّه لديه هذا المخطط، وهذا الفكر، وأنه يختار مَنْ يشاء، وأن أغلبنا مجرد ناس عاديين. ويجب علينا أن ننظر إلى أنفسنا بحسب

هذا النور وبحسب هذا السياق لنفهم معنى الحياة الأخوية المشتركة.

وفي حديثه عن المجتمع الأخوي استهل "ايبرهارد آرنولد" كلامه بجعل الأمر واضحاً جداً، إلا أنني أعتقد بأنه ليس واضحاً كفاية الآن. فالشيء الكبير الذي يتباهى به الناس اليوم هو الجماعة (جماعة الفرد الخاصة به). فالناس يفكرون بلغة الجماعة التي ينتمون إليها وأيضاً بلغة الرِضا الشخصي، وهذه الأمور جيدة. ولكن في الوقت نفسه وفي ظلِّ هذا الاهتياج الكبير حول الجماعة هنالك خطر. دعوني أعطي لكم مثالاً.

لقد لاحظت في الأوساط المسكونية (أي حركة توحيد الكنائس) أن هناك شيء غريب أخذ بالحدوث فجأة منذ حوالي خمسة أو ستة أعوام مضت، وفي وقت تزامن مع موعد افتتاح المجمع الفاتيكاني الثاني[2]. فقد بدأ البروتستانت الذين اختلفوا مع آخرين من طائفتهم بالمجيء إلينا، ونحن الذين اختلفنا مع كاثوليكيين آخرين ذهبنا إليهم. فترى المعمدانيين والكاثوليكيين والمشيخيين والأسقفيين الذين استاءوا من جماعاتهم يتشاور بعضهم مع بعض في مجاميع جديدة. وهذا شيء يميل إلى الحدوث. فكلما نفتح على المزيد من الناس من خارج جماعتنا القديمة، نميل إلى

تشكيل جماعات أخرى. فتجد أرضية مشتركة للتعاطف؛ ناس ذات مظهر جديد وخلفية جديدة تماماً، وتبدو بأنك تمتلئ نشاطاً وإثارة من أول لقاء وربما تنخرط معهم أكثر من جماعتك. إن هذا الأمر يحدث وهو بالحقيقة أمر طبيعي.

ويعود السبب لذلك على الأرجح إلى أننا بدأنا أيضاً ننصرف عن الحالة القديمة حيث كان فيها المجتمع الأخوي مجرد مسألة نظرية، وحقيقة الأمر هي أنه كان لدينا مؤسسة منظمة عوضاً عن مجتمع حقيقي. فكان لدينا العديد من القواعد والأحكام وكان كل شيء على ما يرام وكان الناس يفعلون الشيء ذاته في الوقت ذاته وكانوا في المكان ذاته وفي الوقت ذاته وتصرفوا كما لو أنهم في مجتمع أخوي، وربما كانت الأعمال الخيرية لها حضور كبير في هذا النمط من الحياة. ولكنه ممكن أيضاً في مؤسسة متكاملة كهذه إخفاء غياب شبه تام للمجتمع الحقيقي. فمن ناحية قلّلت فعلاً مشاكل كبيرة ولكنها من ناحية أخرى خلقت حتى مشاكل أكبر. ولأن كل شيء بالحقيقة كان يسير بسلاسة مثل الماكِنة جعلت من الأمر ممكناً للمرور بكل أنواع الفعاليات بدون محبة حقيقة أو على الأقل بدون أية محبة شخصية عميقة للذين من حواليك.

وعن الزمن الذي أتناوله، قبل حوالي عشرة أعوام، أدرك الناس فجأة بوجود شللاً في المجتمعات المؤسساتية؛ فكانت هامدة وحتى مزيفة بعض الشيء ومعرضة لتعشش شتى الأشياء الغريبة. وبدلاً من حلول المحبة الأخوية جاءت علاقات ذات التعلق العاطفي. وكل هذا كان جزءاً من صورة الحياة قديماً حين كانت الحياة منغلقة جداً وكان الناس يميلون إلى إقامة علاقات رخوة بدلاً من محبة حقيقية. وعندما بدأت الأمور فجأة تنفتح وعاد الجميع إلى علاقات أكثر اعتيادية، حدث رد فعل قويّ. فشعر الناس: "هاهنا مجتمع سليم – إنه حقيقي." وكان أكثر أصالة من المجتمع المؤسساتي القديم، ولكنه لم يكن الشيء الحقيقي، وليس المجتمع الذي جاء المسيح لبنائه. ومثلما يقول "ايبرهارد آرنولد"، أن هناك الكثير مما يتضمنه المجتمع الأخوي وأكثر من مجرد الرضا الشخصي والاختلاط الاجتماعي.

ثَمَّة شيء أعمق، فما يفعله "آرنولد" أولاً هو التأكيد على حقيقة وجود شعور إيجابي لدى الناس إزاء المجتمع الطبيعي الشكلي حيث يميل هذا الشعور إلى تجاهل صراع الحياة والموت الذي في داخلنا. وأن ما يرمي إلى التشديد عليه هو الحقيقة التي تبيّن أن بناء المجتمع الأخوي لا يجري بفضل جهود بشرية؛ إنه يُبنى بفضل

اللّه. فهو عمل اللّه، وأساس المجتمع الأخوي ليس مجرد الاختلاط الاجتماعي فحسب بل الإيمان. وهذا ما يلزمنا رؤيته بوضوح تام، لأنه أمر في غاية الأهمية...

أما الذهاب إلى أبعد من ذلك فيمكن رؤية التطرف في قصة الناسكين العجوزين من جماعة "المجتمع الريفي(3) Idyllic community" اللذان لم يتخاصما قط. إنها قصة غريبة الأطوار بل مبالغة، ولكن فيها نقطتين مهمتين. فالموضوع الأكثر أهمية – أي المحتوى اللاهوتي الأصيل للقصة – هو أن الممتلكات هي التي تكون بالحقيقة سبباً لبدء القتال. فترى الناس يدخلون في مشاجرات بعضهم ضد بعض نتيجة لتفضيلهم للأشياء على الآخرين. وهذا الأمر قد سما كثيراً في اللاهوت المسيحي، ولذلك ووفقاً لأهمية التجرد من الأشياء، ولأهمية الفقر، يفترض علينا التحرّر من الأشياء التي قد نفضّلها على الناس. ويمكنك بسط هذا الموضوع إلى أي مدى تشاء – فكلما تصير الأشياء أكثر أهمية من الناس، نقع في مشكلة. فهذه هي النقطة الحاسمة للموضوع بأكمله. فأتخذ التدابير اللازمة لما هي لخيرك!

كان لدى أحد آباء الكنيسة اليونانيين، القديس "ماكسيموس"، تطوراً ملحوظاً في هذا المجال، إلى درجة أنني مرة

صُغْتُ منه لاهوتاً أساسياً للسلام واللاعنف. فهو يتناول هذه النقطة ويتقدم تدريجياً ليبيّن أن جذور الحروب هي في تفضيل الممتلكات على القيم الإنسانية وتفضيل المال على البشر، والتي هي فعلاً حقيقة. فإذا ما نظرنا إلى الحرب في فيتنام – أو إلى أية حرب أخرى – فسيتسنى لنا رؤية جوهر القضية. فالمصالح الاستثمارية والماديّة تلعب دوراً ساخناً، بالرغم من أننا فعلاً نريد حماية الحرية. فهي رغبتنا التي نريد التعبير عنها، غير أن ما يجري بالفعل هو مقتل الأعداد الهائلة من الناس وتحصيل الأموال الطائلة من ورائها. وهكذا تكون نهايتها، الشيء الذي يبيّن لنا أن هنالك شيء مغلوط فيها.

وللعودة إلى قضيتنا، فإن اللّه يشاء بناء مجتمعاً أساسه المسيح، وشغلنا – وأكبر مسؤولية لنا – سيكون بناء مجتمعاً بأية طريقة كانت نقتدر عليها. ولكنه يجب أن يكون مجتمعاً حقيقياً، وبكل وسيلة متاحة، واضعين نصب أعيننا أولوية حق مجتمعنا، وهي خدمته بصورة غير أنانية، أي ذلك المجتمع الذي قدمنا تعهداتنا له، لأن ذلك يعني بأننا ملزمون قبل كل شيء بخدمة أولئك الذين نعيش معهم. والموضوع يشبه الزواج إلى حد ما، مبيّن بلغة التزامات غير أنانية نحو الآخر.

غير أن هذا هو ليس التزامنا الوحيد، لأننا على الأغلب نظن بأنه يجب علينا أن نحب فقط مَنْ هم مقربين إلينا. ربما لأننا لا نرى أبداً آخرين لنحبهم. ولكن لا، فمن الواجب علينا أن نحب آخرين غيرهم، ونحن نريد بالحقيقة محبة الآخرين، والمجتمع بالنسبة لنا يجب أن يتوسع بشكل أكبر من نطاق مجتمعنا الخاص. وتبدو الفكرة الرئيسية لي كما يلي: في حالتكم الخاصة يأتي الناس إلى هنا ليجدوا جماعة من الناس بعضهم يحب بعضاً. فهم لا يأتون إلى هنا لمجرد رؤيتكم كأفراد؛ إنهم يأتون لرؤيتكم كمجتمع من المحبة. وإذا تيسر لهم إيجاد نعمة ومعونة، فلا تكون من كل واحد منكم كأفراد، ولكن من النعمة الموجودة في المجتمع الأخوي.

وكيفما نود النظر إلى المسألة فلا مفر لنا من أداء واجبنا في بناء مجتمع أخوي؛ وهو واجب ليس فقط نحو أولئك الذين يعيشون معنا بل حتى نحو جميع الذين سيقدمون إلينا. فهم بحاجة لإيجاد مجتمع حقيقي هنا، وهذا هو أفضل شيء يمكننا تقديمه لهم.

وهنا نص من رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، وهم من جسد المسيح السرّي (أي الكنيسة). وهو نص رائع جداً بالفعل ويفيد التأمل في الموضوع الذي نحن فيه. وأنا أستشهد به

دائماً لأبيّن مدى ارتباط كل من المجتمع الأخوي مع التأمل الروحي ومع تفهم سرّ المسيح.

فاذكُروا أنتُمُ الّذينَ كانوا غَيرَ يَهودٍ في أصلِهِم، أنَّ اليَهودَ الّذينَ يَعتَبِرونَ أنفُسَهُم أهلَ الخِتانِ بِفِعلِ الأيدي في الجَسَدِ لا يَعتَبِرونَكُم مِنْ أهلِ الخِتانِ. واذكُروا أنَّكُم كُنتُم فيما مَضى مِنْ دُونِ المَسيحِ، بَعيدينَ عَنْ رَعِيَّةِ إِسرائيلَ، غُرَباءَ عَنْ عُهودِ اللّه ووَعدِهِ، لا رجاءَ لكُم ولا إلهَ في هذا العالَمِ. أمَّا الآنَ، فَفي المَسيحِ يَسوعَ صِرتُم قَريبينَ بِدَمِ المَسيحِ بَعدَما كُنتُم بَعيدينَ. فالمَسيحُ هوَ سلامُنا، جعَلَ اليَهودَ وغَيرَ اليَهودِ شَعبًا واحدًا وهدَمَ الحاجِزَ الّذي يَفصِلُ بَينَهُما، أيِ العَداوَةَ، وألغى بِجَسَدِهِ شَريعَةَ موسى بأحكامِها ووَصاياها لِيَخلُقَ في شَخصِهِ مِنْ هاتَينِ الجَماعتَينِ، بَعدَما أحَلَّ السَّلامَ بَينَهُما، إنسانًا واحدًا جَديدًا ويُصْلِحَ بَينَهُما وبَينَ اللّه بِصَليبِهِ، فقَضى على العَداوةِ وجعَلَهُما جسَدًا واحدًا. جاءَ وبَشَّرَكُم بالسَّلامِ أنتُمُ الّذينَ كُنتُم بعيدينَ، كما بَشَّرَ بالسَّلامِ الّذينَ كانوا قَريبينَ، لأنَّ لنا بِه جميعًا سَبيلَ الوُصولِ إلى الآبِ في الرُّوحِ الواحِدِ.

فما أنتُم بَعدَ اليومِ غُرباءَ أو ضُيوفًا، بَلْ أنتُم معَ القِدِّيسينَ رَعِيَّةٌ واحدَةٌ ومِنْ أهلِ بَيتِ اللّه، بُنيتُم على أساسِ الرُّسُلِ والأنبياءِ، وحجَرُ الزّاوِيَةِ هوَ المَسيحُ يَسوعُ نَفسُهُ، لأنَّ بِه يتَماسَكُ البِناءُ كُلُّهُ

ويَنمو ليكونَ هَيكلاً مُقَدَّسًا في الرَّبِّ، وبِه أنتُم أيضًا مَبْنيُّونَ معًا لِتَصيروا مَسكِنًا للّه في الرُّوحِ. (افسس 2: 11-22)

وتحدث القديس بولس هنا عن اليهود واليونانيين – أنه لم تعُدْ هنالك أية انقسامات بينهما. علماً أنه واحد من أصعب النصوص الإنجيلية بالنسبة للقديس بولس. فهو معبأ كثيراً جداً، وهاكم الفكرة التي يؤكد عليها دائماً؛ أن الناموس قد خلق انقسامات، في حين تغلب العهد الجديد على الانقسامات التي خلقها الناموس، فلم يعد هنالك يهودي أو يوناني بَعْدُ. وفي خلقه لهذا المجتمع، فإنه لا يُؤسَس على أساس الخلفية العرقية أو القومية، وليس على أساس: "هل أنت يهودي أم لا؟ أترتاد الكنيست أم لا؟" بل على محبة الأشخاص في المسيح، وعلاقاتهم الشخصية القلبية والمتمركزة حول المسيح، وغير مؤسس على أساس الجنسية أو الطبقة. وهنا يخفق المسيحيون غالباً في يومنا هذا.

يمكن لرجل سياسي أن يجوب ويطوف معرباً عن مناصرته للّه، في حين أن موقفه الحقيقي هو التمييز العنصري، لذا تصبح العنصرية نظيرة للإيمان المسيحي. وهذه وثنية بحتة، عندما يصبح كل شيء بالمقلوب. والقضية نفسها مع النزعة القومية – حيث يقول الناس: "سنعادل نظرتنا القومية مع الإيمان المسيحي،" وإذا بكل

هذه الأمور التي لا علاقة لها بالمرّة بالمسيحية تصبح بين ليلة وضحاها مُنْتَسِبة للإيمان المسيحي. وهذه مشكلة كبيرة لأنها تُعتبر فضيحة شنعاء عند الذين يستصعبون قبول الإيمان في يومنا هذا. فيقولون: "إذا كان هذا الشخص حقاً مسيحياً، فكيف تريدني أن أصير مسيحياً؟"

وأود التأكيد على حقيقة أن المسيح قد أباد العداوة التي خلقتها كل هذه الانقسامات بفضل شخصه هو على الصليب. وهنا أيضاً نرى ما تعنيه لنا الحياة الأخوية المشتركة ألا وهو إبادة الانقسامات بالصليب. بكلمة أخرى، يلزمنا أن نكون أكبر من الانقسامات. علماً أن الفوارق العرقية ستبقى موجودة لكنها لا تعود تصنع أي تمييز في المسيح. وأعتقد أن المشكلة الحقيقية تأتي من هنا، إذ أننا لدينا نزعة - كنوع من أنواع الخرافات الأمريكية - نزعة للتفكير بأن هذا كله أمراً سهلاً وطبيعياً. وكل ما يتطلبه الأمر منك هو إتّباع ميولك الطبيعية الخيّرة وسيتدبر الأمر نفسه بنفسه. كلا! فالأمر ليس كذلك. إنه لا يحدث أوتوماتيكياً من ذاته، يجب أن يتم عمله من قبل اللّه. إنه عمل اللّه.

وكما قال "ايبرهارد آرنولد"، أننا نلمس فعلاً في داخلنا قدرة الصليب على خلق مجتمعاً أخوياً، مثلما نلمس في الوقت نفسه

قدرة المسيح. ومع ذلك فإننا نجد أيضاً في داخلنا كل ما يعارض المجتمع الأخوي، ويجب أن نكون على دراية تامة بهذه الحقيقة. فنحن ناس نشجع تارة ونعارض الحياة الأخوية المشتركة تارة أخرى. لا جدال في الموضوع من أننا جميعنا ناس اجتماعيين فعلاً. ولكن مرة نعم ومرة لا. إذ أننا أيضاً ضعفاء وأنانيين، ويوجد فينا ذاك الصراع مابين الثقة وعدم الثقة، حيث جميعنا يؤمن ولا يؤمن. فنثق ببعض الناس ولا نثق بآخرين. فنحن بكلمة أخرى مملوءين تناقضاً، ويجب علينا أخذ هذا في الحسبان. وتجري الأمور واقعياً بشكل أكثر تعقيداً. فنحن نفترض أنفسنا بأننا لدينا انفتاحاً وثقة كاملتين، ولكن فجأة نكتشف أننا لسنا كذلك... ونميل إلى نكران هذه الحقيقة، وكبتها؛ ولا نحبذ مواجهتها. غير أنه من الواجب علينا مواجهة الحقيقة من أننا نشتاط غضباً أحياناً على الناس، ونهتاج بسببها ونبذل قصارى جهدنا لعدم إظهارها، إلا أنها موجودة. ولا يمكنك أن تعيش حياة دينية بصورة واقعية ما لم تدرك جريان هذه الحقيقة باستمرار.

ويعود السبب لقمع مشاعرنا إلى أنها تسبب القلق. فإذا أقرّيتُ أمام نفسي بأنني أشعر بالهيجان والغضب، فسأفكر في الحال: "إلى ماذا سيؤدي هذا الأمر؟" فسنتقاتل كالقطط والكلاب

للأشهر القادمة، إذا أظهرتُ مشاعري الحقيقية. فماذا ستفعل؟ وأين ستذهب لطلب المساعدة؟... أذهب للّه. وبكلمة أخرى، عوضاً عن تأسيس قناعاتنا على قابليتنا في كبت هذه المشاعر، وإبقائها مخفية، يجب علينا أن نتخذ موقفاً مغايراً تماماً ونقول: "حسناً، لدي هذه المشاعر، وأعلم بوجودها. وأنا آسف بشأنها، إلا أن نعمة المسيح ستتولى أمرها، نعمة المسيح فيّ وفي إخواني وأخواتي." فلست أنا فقط لديّ النعمة – فالموضوع هو أن الجماعة الأخوية لديها النعمة. فهناك ما يكفي من النعمة لحلِّ جميع مشاكلك بالطرق الإنسانية المألوفة – أو التعامل معها على الأقل - ولو أننا لا يمكننا أن نكون بدونها. فيلزمك التعامل معها على طول، ولكن هناك الحل المذكور آنفاً. فأبتهج؛ لكن أعلم بأنه لديك عمل يلزمك تأديته...

لنقرأ شيئاً من "ايبرهارد آرنولد" وماذا يقوله عن هذه المشكلة:

> إن اللّه هو مصدر الحياة. وقد تأسست حياتنا المشتركة عليه وصارت بفضله، وقد قادها مرة بعد أخرى إلى نصرة نهائية بعد خوض صراعات عنيفة. إنه طريق خطِر إلى أبعد الحدود، وطريق الآلام البالغة. إنه طريق يأخذنا إلى وسط صراع الوجود وصراع واقعية حياة العمل، وإلى وسط جميع الصعوبات التي خلقها

السلوك البشري. ومع ذلك، فإن هذا الأمر عينه يعتبر فرحتنا من الأعماق: حينما نرى بوضوح الصراع الأبدي – أي ذلك الشد الذي يفوق الوصف بين الحياة والموت، وموقع الإنسان بين الجنة والنار – وما نزال بالرغم من ذلك نؤمن بطاقة الحياة الغامرة، وبقوة المحبة الغالبة، وببهجة نصرة الحق، لأننا نؤمن باللّه.

وأعتقد أنها شهادة مثيرة ومُلْهِمة للغاية. فيجب علينا أن نؤمن بالحياة الأخوية المشتركة ونؤمن أن كل هذا ممكن في اللّه. ويردف "ايبرهارد آرنولد" قائلاً:

هذا الإيمان ليس نظرية بالنسبة لنا ولا هو تعليم أو نظام من الأفكار المرتبة ولا هو كلام منسوج ولا هو بدعة أو مؤسسة. إنه يعني تلقّي اللّه بحد ذاته – إنه يعني الانغمار باللّه. والإيمان هو القوة التي تُعيننا على المُضِيّ في هذا الطريق. فهو يدعونا إلى التوكل على اللّه في كل مرة وبالأخص حينما نرى، ومن منظار بشري، أن أساسيات التوكل قد تم تدميرها في العالم.

إن مجمل مسألة الإيمان باللّه، وثقة بعضنا ببعض عالمين باحتمالية زوال الثقة وإعادة بنائها ثانية، أنما هي جزء من حياتنا.

بعدئذ يعطينا "ايبرهارد آرنولد" شهادة مبالغ فيها. إنه يقول، " مما لاشك فيه، نحن البشر، مع طبيعتنا البشرية كما هي عليه،

عاجزون عن العيش في مجتمع أخوي بدون عون اللّه وغير مؤهلون لها." فهنا يذهب بعيداً؛ إنه تشاؤم. ولكن بالرغم من هذا فإن شهادة كهذه لها قيمة لأنها بالرغم من المبالغة فيها، إلا أنها تؤشر إلى حقيقة أننا فعلاً نحتاج اللّه، وأن حاجتنا للنعمة هو ما يرمي "آرنولد" إلى تقديمه، كالمقطع التالي:

> فتضع كل من التقلبات السريعة بالمزاج ونزوات حب التملك... كلها تضع عقبات لا تُقهر أمام طريق المجتمع الحقيقي. ولكننا مع الإيمان لا يمكننا أن ننخدع والتسليم بأن هذه الحقائق (الخصال) حاسمة ولها الكلمة الأخيرة.

هذه هي النقطة العظيمة. فأفترض أن كل هذه الأشياء موجودة، وأنها صعبة، لكن ما يقوم به الإيمان هو صنع القرار الأخير. ويمكنك تطبيق هذا على مشاكل الزواج. فأفترض أن زوجاً أكتشف خيانة زوجته له. وهذه واحدة من الحالات المأساوية لانتهاك الثقة في الحياة. فهي تدمّر الحياة. والآن ها قد عرف الزوج بذلك. فإذا كان من النوع الذي يقول: "انتهى الأمر،" فهذا يُعتبر حلاً بالنسبة له. فباللحظة التي يتم اكتشاف العيب، ينتهي كل شيء! إنها النهاية. أما مع المسيح فالأمر معاكساً تماماً. فحتى أكبر الأخطاء يمكن غفرانها. كل شيء يمكن غفرانه. فاسمعوا "آرنولد" يقول:

وهنا يتجلى الأمر بوضوح من أن تحقيق مجتمعاً حقيقياً، وبناء حياة مشتركة، مستحيل بدون الإيمان بقوة أعلى. وبرغم بكل ما يبوء بالفشل، يحاول الناس مرة بعد أخرى وضع ثقتهم إما بالفضيلة البشرية (والتي هي موجودة فعلاً) أو بقوة القانون. وتنتهي جميع جهودهم بالحزن عند مواجهتها لحقيقة الشر.

وهنا أيضاً، نرى قوة هذا المقطع، إلا أن الاستنتاج صحيح: "فالقوة الوحيدة القادرة على بناء مجتمعاً حقيقياً هي الإيمان بذروة سِرِّ الخير، أي الإيمان باللّه."

فالنقطة الجوهرية هي أننا نبني الحياة الأخوية لا على محبتنا بل على محبة اللّه، لأننا نحن شخصياً ليس لدينا بالحقيقة كثير من المحبة، وهذا هو التحدي الحقيقي للحياة الدينية. فهو يضعنا أحياناً في موقف يكون فيه المجتمع الطبيعي صعب جداً. فيرسل اللّه الناس إلى المكان الفلاني أو إلى غيره، وغالباً ما نرى أن اللّه قد حشر وجمّع ناساً متنافرين بالمرّة ضمن جماعة أخوية واحدة. وهناك جماعات تجد نفسها تعيش سوية مع مَنْ لا تختارهم مطلقاً ليكونوا معاً بالأساليب البشرية المعتادة. إنه امتحان للإيمان. فهو يضع محبة اللّه قيد الاختبار، وهذا هو المقصود منه. وهذا ما يعنيه القديس بولس. فالموضوع هو ليس بناء مجتمعاً أخوياً مع الذين تحبهم

بصورة طبيعية فحسب، بل أيضاً موضوع بناء مجتمعاً أخوياً مع الذين يجمّعهم اللّه.

وإن ما يجري اختباره في المجتمع الأخوي هو الإيمان. فالمسألة فيه هي ليست مسألة: "من الذي على حق؟" بل، "هل نؤمن؟" وأعتقد أن هذه هي القضية الأساسية. بالطبع هناك مشاكل، ولكن يمكنك أن تضعها كلها سوية وتتعامل معها على أساس الإيمان ونوره. فالإيمان يجب أن يكون هو السبّاق، والوحيد الذي على حق هو اللّه. فلا أحد منّا يعلم بالضبط ما يريده اللّه. وما يلزمنا هو الإيمان بقوة محبته. وهذه القوة تُعطى لنا بجرعات حينما نعمل معاً لإيجاد الجواب، وإذا اجتمعنا عندئذ لنقرر شيئاً ما – حتى لو كان غير صائباً – ولكن إذا أديناه بإيمان صالح، ستكون قوة محبة اللّه فيه. إذ أننا سنفعل أخطاء، شئنا أم أبينا، ولكن هذا بالحقيقة لا يهم كثيراً.

المجتمع الأخوي والسياسة والتأمل الروحي

أريد أن أتكلم أكثر عن المجتمع الأخوي لأنه يوجد في الكنيسة اليوم حركة نشطة وقوية جداً نلقاها في كل مكان، والتي فيها العديد من الناس – أقلية ولكن أقلية مؤثرة جداً، وأعرف الكثيرين منهم – يقولون أنه يوجد اليوم مجتمع حقيقي واحد في الوجود، ألا وهو الجماعة التي تهمها مشاكل الفقراء والمعدمين، وأن السبيل العملي الوحيد للتعامل معها هو قيام ثورة، وعليه فإن الإيمان المسيحي يعادل ثورة.

فالناس يتحدثون بهذا الأسلوب، وستحصل مشاكل لأنهم لا يعلمون عما يتكلمون. وكل واحد فيهم طيّب وميسور الحال، وفجأة تراهم يتكلمون عن ثورة.

توجد الآن تجربة تغوينا لنبحث عن جماعة أخوية، عندما نهتم بالأمور السياسية. إجمالاً، لا يمكنك بالحقيقة تجنبها، لأنه عليك بديهياً أن تكون مهتماً بالعالم والسياسة بشكل أو بآخر. ولكن من ناحية أخرى، فإن ترصّفك مع حركات ناس آخرين ليس بالضرورة سيكون الجواب الشافي. كانت واحدة من أصدقائي امرأة من طائفة الصحابيين Quakers، والتي كانت من أصدقاء مارتن لوثر كنج

Martin Luther King وكانت منخرطة جداً في حركة الدفاع عن حقوق الإنسان للأفارقة الأمريكان Civil rights movement في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية بصورة نزيهة ومتفانية جداً. وفي أحد الأيام اشتركت هي وزوجها في مظاهرة في واشنطن. وكان لهما أسمى الدوافع وإلى درجة كبيرة، ولكنهما انضما إلى بعض الناشطين الذين لم يكن لهم أسمى الدوافع على الإطلاق، ووجدا أنفسهما مجبرين على الدخول في موقف غريب حيث تم إلقاء القبض على جميعهم. فقد تم إجبارهما على تجاوز أحد القوانين التي لم يكن عندهما أية نيّة لتجاوزها بل لم يريدا ذلك، لكي يتسنى تسخيرهما وتتاح فرصة للناشطين قول: "لقد تمّ اعتقال فلان وفلان من طرفنا."

بكلمة أخرى، عندما تبدأ التعامل مع ناس من هذا النوع فإنك لا تتعامل مع جماعة ذات مفهوم مسيحي معين؛ إنك تتعامل مع مجموعة من المتلاعبين الذين يؤثرون ويحركون الناس، ولديهم أسبابهم، ولكنهم جزءاً من القوة التي تملكها السياسة، وهذا خطير... يجب عليك أن تعرف فعلاً واقع وحصيلة الأمور.

أنا أعتقد شخصياً بأننا يجب أن نكون في موقع ما بين الاثنين؛ فيجب ألا نكون في صفّ المتحفظين ولا في صفّ المتطرفين

– يجب أن نكون مسيحيين. يجب علينا أن نفهم المبادئ المستعملة وأن ندرك أنه لا يمكننا أن ننخرط في أي مكان لا توجد فيه شركة مسيحية حقيقية. مما لاشك فيه، توجد نِيّات حسنة كثيرة في هذه الحركات، بالإضافة إلى وجود بذور من الرغبات لتحقيق مجتمعاً أخوياً، ولكن القوة (النفوذ) تأخذ مكان الأولويات. ويُعتبر دور القوة مهماً، والذي نعارضه هو ليس المحبة بل السبل الخالية من المحبة. فلا يؤيد أغلب الناشطين العنف في البداية، ولكنهم سيؤيدونه لاحقاً. بكلمة أخرى، هناك طرق وسبل لإجبار الناس على الاشتراك في اتجاه معين. ويمكنك أن تقول: "طبعاً، فهذه هي السياسة." فإذا كنتَ سياسياً فإنك تحتاج أن تتعلم عن هذه الأمور وعن كيفية التعامل معها، أما نحن فيجب علينا أن نبقى بعيدين عنها.

وفي كتابات "ايبرهارد آرنولد" عام 1920 في ألمانيا، وجد "ايبرهارد" نفسه عالقاً بين القوميين والشيوعيين. فكان القوميون الذين أصبحوا نازيين يمثلون نوعاً وحشياً جداً من المجتمع وما هو إلا تمييز عنصري بحت – ومجرد عواطف فَظَّة، وعملية صَفّ الجميع والسير بهم كالجيش. وهذا هو نوع من أنواع المجتمعات الجماهيرية المتعصِّبة والتي سنرى منها الكثير في هذا البلد للأسف. ولا أعتقد

أن البلد كله سيدعمها، ولكن بعض الناس سيخشون وسيريدون حماية ممتلكاتهم، بينما الناس في الطرف الآخر سيتورطون فيما يُدعى بالعمل الثوري، أما نحن فسنعلق بالوسط.

لقد رأى "آرنولد" كل هذا، والذي أستنتجه هو اتخاذ موقفاً معيناً والذي أوافقه كثيراً جداً هنا أيضاً – أن الروح القدس هو فوق كلا هذين الموقفين، ويجب علينا أن نبقى فوق هذين الموقفين أيضاً. فيجب علينا أن نكون حيثما المحبة تكون، وهو فعلاً الموقف الأصعب، ولكنه أيضاً الموقف الإبداعي، والبنّاء. وهو الموقف نفسه الذي اتخذه غاندي.

وهذا الموقف هو ليس موقف مثالياً بمجرد لأن غاندي اتخذه. لقد قمتُ بتحرير وكتابة المقدمة لكتاب عن أقوال غاندي حول اللاعنف، وربما من الخير أن تتذكر هذا الموضوع لأنه في طريقه إلى الضياع الآن. فقد تم تشويه اللاعنف كلياً وبدأ يتحول إلى نوع من أنواع العنف - الجزئي. إلا أن الشيء الأساسي كما عبر عنه غاندي، والذي أثبت صحته الكاملة، هو أنك لا يسعك اتخاذ أي موقف حقيقي للاعنف بدون الإيمان باللّه. فإذا لم يكن أساسه اللّه، لن تفلح، ولن يكون موقفاً حقيقياً. لقد قالها غاندي والتقطها

مارتن لوثر كنج واستمر بها. فها هو الإنجاز الروحي، المؤسَس على التزهُّد.

كان غاندي يستخدم مبدئياً الصوم والسبل الروحية. لذلك فمن الواجب علينا أن نحاول تدارك هذه التجربة المُغرية في البحث عن جماعة في شتى أنواع الحركات التي تستعمل القوة والنفوذ، مثلما يفعله الكثيرون الآن، وأن نحافظ على موقفنا في مجتمع مسيحي – مجتمع بناه اللّه.

وهذه هي الحالة بالذات التي يتكلم عنها "آرنولد" عندما يقول أن جميع الثورات، وجميع الحركات المجتمعية والمثالية أو ذات التوجه الإصلاحي تبين كلا من اشتياقها للمجتمع الأخوي وعجزها لتحقيقه في آن واحد. فماذا يقصد بالثورات، والحركات المجتمعية والمثالية أو ذات التوجه الإصلاحي؟ ربما يشير إلى النباتيين أو إلى الهيبيز Hippies. حيث كانت جماعة الهيبيز تتضمن شباباً طيبين بكثير من المعاني. فهم كانوا يجسدون توقاً للمجتمع الأخوي ومع ذلك كانوا عاجزين عليه، فصاروا يطوفون بما أشبه بجماعات.

وعلى فكرة، فأنني لم أخبركم عن ذاك الشخص الهيبي Hippy في دير "المسيح في الصحراء"، فقد كان رجلاً طيباً فعلاً. وهو ليس فقط هيبي عادي؛ أظن إنه كان أكثر جديّة من ذلك. فقد قابلني في

المطار عندما ذهبت هناك، وكان لديه شعراً طويلاً بالفعل، وعلى رأسه مشدود حزام رفيع أحمر كالهنود الحمر لمنع شعره من حجب الرؤية أمام عينيه أثناء قيادته للسيارة. رجل لطيف جداً. وكان عنده سيارة قديمة من نوع فولكس واكن ستيشن ومضروبة من كل الجوانب وفي الخلف لديه موقد غاز وفراش لأنه يسكن فيها. وكان يسحب وراءه ماكِنة خلاط الجص، فسألته: "لماذا عنده هذه الماكِنة؟" قال: "فكرتُ في القيام بشيء للرهبان، وسأعمل لهم لمدة سنة وأصنع لهم طابوقاً لبيت الضيوف التابع لديرهم." فكان توه قد صمم ذلك. فهو ليس بالضرورة مسيحياً، ولكنه كان يعيش عندهم في الدير، وكان ينوي مساعدة الرهبان. فكان يبحث عن مكان ليفكر ويتأمل، فأخذ سيارته إلى خلف الوادي الشاهق والضيق والسويّ الجوانب كانيون Canyon ووقف تحت شجرة، وشرع بصنع هذا الطابوق. وهو أطيب شخص رأيته. وذهبنا في الطريق كله حتى وصلنا إلى مدينة البوكيركي Albuquerque وإلى الدير، وكل ما كان يريد التحدث عنه هو التأمل الروحي. كيف تتأمل روحياً؟ ماذا تفعل، وماذا يفعل الهندوس؟ ماذا يفعل البوذيون؟ فكان مهتماً بالصلاة، وحكيَ لي قصة حياته كلها، عندما كان في الجيش ثم أدرك عدم جدواها. والآن، ولما كان يريد أن

يكتشف المعنى من وراء الموضوع كله، ذهب ليعيش في هذا الوادي بسيارته...

وفي منطقة ريدوودز Redwoods في ولاية كاليفورنيا يوجد بعض من الهيبيز الرائعين. فحال انتقالهم إلى هذه المنطقة وسماعهم عن وجود دير فيها، جاءوا كلهم إلى الدير وجلبوا معهم طعاماً. وفي الحقيقة، أقاموا بعض الحفلات هناك، في كراج السيارات، والكل كان يعزف على الكيتار ويغني، وكل واحد من الهيبيز كان يفعل ما يقتدر عليه، وعزف ما كان يعرفه، والجميع تمتعوا آنذاك. وهذا مثال عن الظمأ للحياة الأخوية المشتركة والموجودة في كل مكان.

يقول "ايبرهارد آرنولد"، " إن جميع الثورات، وجميع الحركات المجتمعية والمثالية أو ذات التوجه الإصلاحي تجبرنا باستمرار على إدراك شيئاً واحداً فقط قادر على إحياء إيماننا بالخير ألا وهو: مثال حيّ واضح من الفعل يكون مولود من الحق، حينما يتحد الفعل مع الكلمة في اللّه. ولدينا سلاح واحد فقط ضد الفساد الموجود اليوم – وهو سلاح الروح القدس، والذي هو عبارة عن عمل بنّاء يجري في الجماعة التي تسود علاقاتها المحبة." ويقول أن هذا هو الأساس الحقيقي للمجتمع الأخوي.

ثم يتناول فكرة أننا يجب علينا ألا نكون عاطفيين إزاء المجتمع الأخوي. أنه يعني بالحقيقة بذل جهوداً مشتركة:

نحن لا نعترف بمحبة عاطفية على صعيد المشاعر، أي بمعنى محبة من دون عمل. ومن ناحية أخرى، لا نعترف بتفانٍ في شغل عملي إذا لم يقدم برهاناً يومياً عن علاقات قلبية فيما بين الذين يعملون معاً، وعن علاقات تأتي من الروح القدس. إن محبة العمل مثلها مثل عمل المحبة فهي من فضل الروح القدس. فالمحبة الآتية من الروح القدس هي عمل.

وهو يكتب فعلاً بشكل ممتاز عن حياة المجتمع الأخوي؛ فهي واقعية وأساسية، وقد تم إثبات وجود الروح القدس بواسطة العمل المشترك الذي تسوده المحبة من أجل غاية مشتركة.

بالطبع هذا له ارتباطا وثيقاً مع الغاية العظمى للكنيسة اليوم والذي أكد عليه المجمع الفاتيكاني الثاني بشدة في وثيقته "الفرح والأمل Gaudium et Spes" ، وكذلك مع أفكار القس اليسوعي الفرنسي "تيلهارد دي جاردن[4] Teilhard de Chardin" - بناء العالم الجديد - والتعاون باتجاه اكتمال بلوغ ونضوج الإنسان. ويقول "آرنولد" ما يلي:

إننا نعترف بيسوع المسيح وأيضاً بالمسيحية الأولية. فقد كرس المسيحيون الأوائل أنفسهم لخدمة حاجات الناس الخارجية بالإضافة إلى الروحية. إذ قد جلب يسوع حياةً: فقد أشفى الأجساد المريضة، وأقام الموتى، وطرد الشياطين من النفوس المعذبة، وحَمَلَ رسالته، رسالة الفرح، إلى أفقر الفقراء. وتعني رسالة يسوع تحقيق الملكوت المستقبلي الغير مرئي في زماننا الحاضر؛ إنها بالأحرى وعدٌ من أن الأرض كلها سيتم الفوز بها في النهاية للّه.

أننا نربح الأرض كلها للّه عندما نعيش حياة المحبة الأخوية ونعمل معاً مع قوة اللّه لتغيير العالم. وهذا مفهوم مسيحي بليغ فعلاً والذي يعتبر أساساً لكل ما يجري في حياتنا، وهذا هو معنى التأمل الروحي. فالتأمل الروحي هو إدراك فاعلية اللّه في حياتنا، وليس مجرد إدراك فكرة أو جزءاً من فكرة، بل إدراك الشيء بأكمله – إدراك أننا ننتمي له بالكامل وأنه قد وهب نفسه كلياً لنا. فكل هذا قد حصل وما يزال يحصل الآن.

ويجب عليكم أيضاً أن تدركوا أنه ليس بمقدوركم رؤية هذا الأمر. فهو يحدث وتراه ولا تراه. وتنال لمحة عنه، وتؤمن به، وتتوقف حياتك عليه، وأحيانا يبدو في تناقض تام أو مستحيلاً، ولكنه

موجود. فإنه المكان الذي كلنا نرجع إليه. ماذا قال القديس بولس الرسول:

لذلِكَ، ما إنْ سَمِعتُ بإيمانِكُم بالرَّبِّ يَسوعَ وبِمَحبَّتِكُم لجَميعِ الإخوَةِ القِدِّيسينَ ، حتّى أخذتُ أشكُرُ اللهَ بِلا انقِطاعٍ لأجلِكُم وأُذكرُكُم في صَلَواتي وأطلُبُ مِنْ إلهِ رَبِّنا يَسوعَ المَسيحِ، الآبِ المَجيدِ، أنْ يَهَبَ لكُم رُوحَ حِكمَةٍ يكشِفُ لكُم عَنهُ لِتَعرفوهُ حَقَّ المَعرِفَةِ، وأنْ يُنيرَ بَصائِرَ قُلوبِكُم لِتُدرِكوا إلى أيِّ رَجاءٍ دعاكُم... (أفسس 1: 15-18).

والموضوع مرتبط كله بالرجاء، والرجاء لا يمكنك رؤيته. فالرجاء حاضر ولكن بصورة غير مرئية. وأحياناً تعرفه وأحياناً لا تعرفه.

وأنْ يُنيرَ بَصائِرَ قُلوبِكُم لِتُدرِكوا إلى أيِّ رَجاءٍ دعاكُم وأيَّ كُنوزِ مَجدٍ جَعَلَها لكُم ميراثًا بَينَ القِدِّيسينَ وأيّ قُوَّةٍ عظيمةٍ فائِقَةٍ تَعمَلُ لأجلِنا نَحنُ المُؤمنينَ وهِيَ قُدرَةُ اللهِ الجَبّارَةُ التي أظهَرَها في المَسيحِ حينَ أقامَهُ مِنْ بَينِ الأمواتِ وأجلَسَهُ إلى يَمينِهِ في السَّماواتِ، فوقَ كُلِّ رِئاسَة وسُلطان وقُوَّةٍ وسِيادَةٍ... (أفسس 1: 18-21)

إن هذا مهم جداً. إذ يصادفنا بين حين وآخر الكثير من المواضيع التي تشير إلى القوّة والسلطان والسيادة عندما نقرأ رسائل القديس بولس، غير أن النص ينزلق من أمامنا من دون أن يحرك ساكناً فينا

وتفوتنا كالمعتاد فرصة تأمل معنى النص واستيعابه. إلا أنَّ الموضوع مهم للغاية، لأن الصلاة هي حريتنا الحقيقية. فالصلاة تحررنا من هذه العزلة والقطيعة، وهذا ما كنتُ أشير إليه.

فبالصلاة نكون فعلاً أحراراً مع أنفسنا وبكل ملئنا، ولسنا تحت نير أي قوة أخرى أو سلطان آخر أو سيادة أخرى. ويلزمنا أن نعرف معنى ذلك.

> وجعَلَ كُلَّ شيءٍ تَحتَ قَدَمَيْهِ ورَفَعَهُ فَوقَ كُلِّ شيءٍ رَأْسًا لِلكنيسَةِ التي هِيَ جَسَدُهُ ومِلؤُهُ، وهوَ الذي يَملأُ كُلَّ شيءٍ في كُلِّ شيءٍ. (أفسس 1: 22-23).

فيتعين عليك أن تقضي حياتك كلها لتقرأ نصاً كهذا مراراً وتكراراً. فهو السبيل الوحيد لك لتخطو أية خطوة كانت. فلا يمكنك مجرد قراءته بضعة مرات ومن ثم قراءته بمساعدة أحد التفاسير. بل أنك ستعاود الرجوع إليه، وربما بعد خمسين عاماً من التفكّر به ستبدأ رؤية معنى النص فعلاً.

هوامش على خطابي مرتون

(1) دير سيدة جتسماني، The Abbey of Our Lady of Gethsemani الدير اللاترابي (الممتنعين عن الكلام) في ولاية كانتاكي الأمريكية والتي دخله توماس مرتون في عام 1941 حيث بقي هناك كراهب (عدا في الزمن الذي كان يسافر فيه) لغاية وفاته عام 1968.

(2) يشير مرتون هنا إلى المجمع الفاتيكاني الثاني (1962 – 1965)، والذي سعى إلى ترويج التجدد الروحي داخل الكنيسة الكاثوليكية. وشملت إصلاحاته الواسعة النطاق تعديل طقوس خدمات العبادة ودعم الحركة المسكونية وإدانة العداء ضد الساميّة.

(3) هناك قسيسَان عاشا كناسِكَين معاً في الصحراء ولعدة سنوات، ولم يحدث أنهما قد تخاصما قط. فقال أحدهما مرة للآخر، "لماذا لا نفعل مثل الآخرين في العالم وندخل في خصام؟" فقال رفيقه، "طيب، كيف سنقوم بذلك؟" فأجابه، "حسناً يا رفيقي، إن الخصام يبدأ حول الممتلكات، وحيازة شيئاً لوحده بحيث لا يقدر الشخص الآخر الحصول عليه. فدعنا نرى ما يمكننا إيجاده حولنا لنحوز عليه ومن ثم نتخاصم عليه." فوجد طابوقة وقال،

"سأضع الطابوقة بيننا، وسأقول، ʼهذه طابوقتي،ʻ وأنت ستقول حالاً، ʼكلا، إنها لي،ʻ وبعدئذ نتشاجر." وهكذا يجلب الرجل الطابوقة ويضعها في وسطهما ويقول، "هذه طابوقتي،" والآخر يقول، "حسناً يا أخي، إذا كانت هذه طابوقتك، خذها."

من كتاب "توماس مرتون" في ألاسكا، ص 86 *Thomas Merton in Alaska* .

(4) "بيير تيلهارد دي جاردين، *Pierre Teilhard de Chardin*"، 1881-1955، عالم فرنسي ولاهوتي كاثوليكي.

خاتمة بقلم المحررين

بالرغم من أن "ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold" غير معروف كثيراً اليوم، إلا أنَّ تأثيره خلال حياته (1883 - 1935) شعرت به مئات الآلاف من الناس. وبحسب شهادة كتاباته الغزيرة، كان له تبصّر فريد وإدراك عميق عن الكنيسة من أنها الجسد الحيّ للمسيح.

في عام 1920، قام "ايبرهارد" بمجازفة، حيث ترك كل الغِنى والأمان والوظيفة المتسلقة المشهود لها، وانتقل مع زوجته أيمي Emmy وخمسة أطفال لهما من برلين إلى زانرز Sannerz، وهي قرية في وسط ألمانيا، حيث أسسا مجتمعاً أخوياً صغيراً يتألف من أسر وعزاب على أساس ممارسات وأيمان الكنيسة الأولية مثلما مذكورة في العهد الجديد من الكتاب المقدس.

ورغم اضطهاد النازيين، واضطرابات الحرب العالمية الثانية، وأزمنة من الانحدار الروحي، فقد نجا المجتمع الأخوي هذا – والذي كان معروفاً بسم برودرهوف Bruderhof (ويعني مكان الأخوة). أما اليوم فهو باقٍ ولديه العديد من المجتمعات الأخوية الشقيقة في عدد من الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا وألمانيا وأستراليا وأمريكا اللاتينية...الخ.

وجماعتنا صغيرة بالحجم وقليلة بالعدد، ومع ذلك فإننا نعتقد أن مهمتنا ذات أهمية قصوى وهي: أن نتبع تعاليم يسوع في الموعظة على الجبل ولنشهد لإنجيله في مجتمع تحوّل ضده.

ومن الطبيعي من أن التبشير كان دائماً من الاهتمامات المركزية والرئيسية لفعالياتنا، ولكن ليس بمفهوم أننا نريد تغيير جماهير من الناس أو كسب أعضاءً جدداً "لكنيستنا". فالأمر الأكثر أهمية لنا هو العلاقات التي نقيمها مع الآخرين مِمَن يسعون بصدق لإطاعة مشيئة اللّه في حياتهم، بغض النظر عن صبغتهم. ولا يسعنا إلا تقديم الشكران على العلاقات التي حصلنا عليها مع الذين يبحثون عن جواب، ومن إرجاءٍ مختلفة من العالم من رجالٍ ونساء، وقد طافت الرحلات بأخوتنا وأخواتنا إلى مناطق متعددة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وروسيا وإسرائيل والعراق وغيره من دول الشرق الأوسط ونيوزيلندة وهايتي وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وكوريا واليابان...الخ.

لقد جئنا من دولاً وأجناس ومناحي حياة عديدة ومختلفة، ولكننا كلنا إخوة وأخوات في المسيح. والضيوف مرحب بهم في جميع مجتمعاتنا الأخوية، غير أن نصيحتنا لهم هي أن مجتمعاتنا ليست وسيلة للهروب من العالم والمجيء إلى يوطوبيا (أي دنيا مثالية).

فالحياة فيها صراعات هنا أيضاً. فمن أجل أن نعيش معاً في محبة يجب علينا كلنا أن نسلّم إرادتنا للّه كل يوم. فتصير هذه الحياة المشتركة ممكنة بفضل نعمته، وليس بفضل قدراتنا.

وكما ذكرنا أعلاه، فإن أساس حياتنا المشتركة هو كلام المسيح الحيّ: فنحن وببساطة نحاول العمل بتعاليمه، وبالأخص المحبة الأخوية ومحبة الأعداء والخدمة المتبادلة واللاعنف ورفض حمل السلاح والطهارة الجنسية والوفاء في الزواج.

ليس لدينا ملكية خاصة ولكن كل شيء لدينا مشترك مثلما فعل المسيحيون الأوائل حسبما مدون في سفر أعمال الرسل من الكتاب المقدس في الفصل الثاني والرابع كما يلي:

"وكانوا يُداوِمونَ على الاستِماعِ إلى تَعليمِ الرُّسُلِ وعلى الحياةِ المُشتَرَكَةِ وكَسْرِ الخُبزِ والصَّلاةِ. وتَمَّت عجائِبُ وآياتٌ كثيرةٌ على أيدي الرُّسُلِ، فاستَولى الخَوفُ على جميعِ النُّفوس. وكانَ المُؤمِنون كُلُّهُم مُتَّحِدينَ، يجعَلونَ كُلَّ ما عِندَهُم مُشتَرَكًا بَينَهُم، يَبيعونَ أملاكَهُم وخَيراتِهِم ويَتقاسَمونَ ثَمَنها على قَدرِ حاجَةِ كُلِّ واحدٍ مِنهُم . وكانوا يَلتَقونَ كُلَّ يومٍ في الهَيكَلِ بِقَلبٍ واحدٍ، ويكسِرونَ الخُبزَ في البُيوتِ، ويَتَناولونَ الطَّعامَ بِفرَحٍ وبَساطةِ قَلبٍ يُسَبِّحونَ اللهَ ويَنالون حُظوَةً عِندَ الشَّعْبِ كُلِّه. وكانَ الرَّبُّ كُلَّ يَومٍ يَضُمُّ إلى الجَماعَةِ أُولئِكَ الَّذينَ يَنالونَ الخَلاص"(أعمال الرسل 2: 42-47).

"وكانَ جَماعةُ المُؤمنينَ قَلبًا واحدًا ورُوحًا واحِدَةً، لا يَدَّعي أحدٌ مِنهُم مُلْكَ ما يَخُصُّهُ، بل كانوا يتَشاركونَ في كُلِّ شيءٍ لهُم. وكانَ الرُّسُلُ يُؤدُّونَ الشَّهادَةَ بِقيامَةِ الرَّبِّ يَسوعَ، تُؤيِّدُها قُدرَةٌ عَظيمةٌ. وكانَتِ النِّعمَةُ وافِرَةً علَيهِم جميعًا، فما كانَ أحَدٌ مِنهُم في حاجةٍ، لأنَّ الذينَ يَملِكونَ الحُقولَ أوِ البُيوتَ كانوا يَبيعونَها ويَجيئونَ بِثَمنِ المَبيعِ، فيُلقونَهُ عِندَ أقدامِ الرُّسُلِ ليُوزِّعوهُ على قَدرِ احتِياجِ كُلِّ واحدٍ مِنَ الجماعَةِ" (أعمال 4: 32-35).

فيقدم كل فرد، سواء أكان رجلاً أم امرأة، مواهبه ووقته وجهوده أينما كانت هناك حاجة إليها. ونتناول أغلب وجبات طعامنا سوية في قاعة طعام كبيرة، ولكن أحياناً نأكل مع عائلاتنا في البيوت. ونجتمع أثناء الأسبوع وأيام الآحاد للصلاة أو العبادة أو التراتيل أو اتخاذ القرارات.

لدى مجتمعاتنا المختلفة مصالح مختلفة نسترزق منها مثل بيع أثاث "Community Playthings" وهي مجاميع متكاملة من ألعاب وأثاث المدارس ورياض الأطفال وأيضاً بيع عُدَد " Rifton "Equipment for people with disabilities وهي مجموعة متكاملة من العدد للعلاج البدني للمعاقين. وكذلك قطع إعلانات المحلات التجارية والمنازل "Danthonia design" وغيرها من

شركات الصيانة والتنظيف بالإضافة إلى وظائف فردية يؤديها بعض من أفرادنا في شركات ودوائر خارجية.

أما الأطفال ما بين عمر ستة أسابيع وثلاثة سنوات فنعتني بهم في دور حضانة الأطفال في مجتمعاتنا. ويداوم أولادنا من الصف التمهيدي ولغاية الصف العاشر في مدارسنا الابتدائية والثانوية؛ وبعدها يكمل قسم منهم دراسته إما في المعاهد أو الجامعات أو المدارس المهنية أو التقنية أو إيجاد عمل داخل أو خارج مجتمعاتنا. أما العضوية فهي للبالغين، والتي نشدّد على طوعيتها واختيار المرء بذاته وبكامل حريته ووعيه، وتستلزم بعدها التزام حياتي يبدأ في مرحلة الابتداء – وهي مدة الاختبار – وبعدئذ عضوية كاملة عن طريق معمودية المؤمنين (أي تعميد من كان مؤمناً).

وتعطي الحياة في مجتمعنا الأخوي فرصة يومية للشخص لخدمة الآخرين لأجل أجواء أخوية حقيقية. ونحن على دراية بضعفنا البشري كأفراد وكمجتمع. ومع ذلك فإننا نؤمن أنه من الممكن تجسيد طريق يسوع المسيح الواضح من خلال الأفعال، طريق المحبة والتحرر والحق. ونشتاق كثيراً إلى أن يمس الروح القدس الحيّ حياتنا وحياة جميع الناس من رجال ونساء ويجددنا مثلما ألهَمَ المسيحيين الأوائل.

ونحن نقرّ مثل ايبرهارد آرنولد أن:

"يجب أن يُهزم هذا الكوكب، كوكب الأرض، من أجل ملكوت جديد، ونظام اجتماعي جديد، ووحدة جديدة، وفرح جديد. ويأتينا هذا الفرح من اللّه الذي هو إله المحبة، والذي هو روح السلام والوحدة والمجتمع الأخوي. وهذه هي الرسالة التي جاء بها يسوع. ويجب أن يكون لدينا الإيمان واليقين أن رسالته لا تزال سارية إلى يومنا هذا."

المحررون - 2011

وللمزيد من المعلومات عن مجتمعاتنا الأخوية أو لترتيب زيارة، أكتب إلى أحد العناوين التالية:

Beech Grove
Sandwich Road
Nonington, Kent
CT15 4HH
England

Platclove
Elka Park, NY 12427
USA

Sannerz
Lindenstrasse 13
D-36391 Sinntal
Sannerz
Germany

Danthonia
Glen Innes Road
Inverell NSW 2360
Australia

Villa Primavera
Waldino Lovera 6035
Ascuncion
Paraguay
South America

Woodgate
104 Clova Road
London E7 9AF
UK

كتب أخرى من إِصْداراتنا

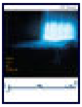

الصحوة

قصة حقيقية لمعركة القس الألماني بلومهارت Blumhardt مع الشياطين التي كانت تسكن امرأة من أهالي مدينته.

الجنس واللّه والزواج

بقلم كريستوف آرنولد Christoph Arnold، وفيه كل ما يخص أمور الحب والزواج وخدمة العزاب.

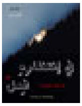

في انتظاره فعلٌ

مجموعة من مواعظ القس الألماني بلومهارت Blumhardt التي تدعو إلى توقع تدخل الله وملكوته في حياتنا لتتغيّر جذرياُ.

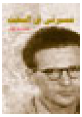

مسيرتي في البحث

قصة حقيقية عن رجل لم يعرف الملل ولا الكلل في بحثه عن الحياة الأخوية الحقيقية بالرغم من كل الاضطهاد والتهجير الذي لاقاه.

المسيحيون الأوائل

كتاب أعدّه العلامة اللاهوتي ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold حول حياة المسيحيين الأوائل التي تعرّي فتور وعولمة حياتنا المعاصرة وتضعنا أمام الرهان

www.ploughbooks.co.uk/arabic